مكتبة البنين
قسم الدوريات

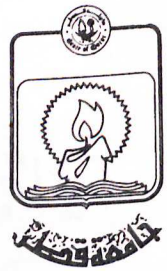

حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

غير مسموح بـ... من المكتبة

العدد الرابع عشر

١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م

القضايا العربية
لدى
شعراء الإحياء في الخليج العربي

الدكتور محمد عبدالرحيم كافود

عميد كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية

مقدمة :

هذا البحث يهدف إلى رصد أو معالجة غرض من أغراض الشعر العربي في الخليج في طور الاحياء عند الرعيل الأول من شعراء الخليج العربي، وهو مدى التفاعل والوعي لدى هؤلاء الشعراء بالقضايا العربية، رغم ضعف التواصل بين أبناء المنطقة، وبقية الوطن العربي آنذاك.

فالعزلة الثقافية التي كانت تعيشها المنطقة بسبب السيطرة الغربية، والتخلف الاقتصادي حتى منتصف القرن العشرين.. كان له أثره على الحياة العامة في المجتمعات الخليجية.

ولكن رغم العزلة السياسية والثقافية التي عاشتها منطقة الخليج لأسباب معروفة، إلا أن الحس القومي، والتجاوب الوحدوي في الآلام والمعاناة، والآمال والطموحات كانت تنعكس في شعر الكثير من الشعراء الخليجيين. فصدى وجدان الانسان الخليجي ووحدة المصير التي تربطه بأمته تعكسها تلك النماذج الشعرية.

وهذا ما حاول هذا البحث أن يرصده، ومن خلال تتبعي لدواوين هؤلاء الشعراء، وجدت أن هناك ثلاث قضايا قد شغلت الشعراء أو برزت عندهم بصورة واضحة وهي: قضية التحرر والكفاح ـ وقضية الوحدة العربية ـ وقضية فلسطين. حيث كان لهذه القضايا مساحة واسعة في ساحة الشعر التقليدي في الخليج.

تمهـــيد :

من المعروف أن لمنطقة الخليج العربي تاريخها العريق منذ القدم فهذه المنطقة كانت تشكل حلقة وصل بين الشرق الأقصى والغرب في التبادل التجاري بينهما. ولكن رغم هذا التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب، فهي في الوقت نفسه منطقة حافظت على أصالتها العربية الاسلامية العريقة. أو كما يقول الدكتور محمد متولى: انها «بحيرة ثقافية جمعت حول شواطئها وحدة اللغة، والدين، والجنس، وانصهرت في بوتقتها مختلف المذاهب والآراء، حتى صارت كلا متجانساً، ووحدة لا تتجزأ، رغم ما يبدو في ظاهرها من تباين واختلاف..»(١).

وقد عرفت المنطقة العديد من الحركات السياسية، والفكرية، كالخوارج والقرامطة، والزنج، ورغم امتداد الحكم العثماني إلى مناطق عديدة في الخليج إلا أن هذا النفوذ لم يكن له تأثير يذكر في نمط الحياة الاجتاعية، والثقافية المحافظة على أصالتها العربية الاسلامية.

وفي أواخر القرن الخامس عشر بدأ الاستعمار الغربي، والقوى الأجنبية تتسلل إلى المنطقة حيث دخل البرتغاليون، والهولنديون، والانجليز والفرنسيون، والروس.. الخ(٢).

وبعد صراع بين هذه القوى الاستعمارية طال أو قصر، تقلص نفوذ هذه الدول وانتهت من المنطقة باستثناء الهيمنة البريطانية حيث ظل الانجليز في سيطرتهم على المنطقة حتى بداية ١٩٧٠م.. حيث قررت بريطانيا في أواخر الستينيات الجلاء عن المنطقة. وطبعي في ظل هذه الهيمنة الأجنبية على المنطقة وتحكم هذه القوى على مقدرات بلدان الخليج أن تتنامى القوى الوطنية، وتتبلور النزعة القومية للتعبير عن الرفض، وتأكيد الهوية والانتماء العربي. وقد قام الشعر بهذا الدور خير قيام، حيث تمثل ذلك الحس القومي، والانتماء العربي لدى شعراء المنطقة من الرعيل الأول وأعني بهم شعراء الاحياء من ذوي النزعة الاصلاحية، فكان شعرهم صدى للعديد من

(١) حوض الخليج العربي، د. محمد متولي ص ـ ١.

(٢) الخليج العربي في ماضيه وحاضره، د. خالد العزي، ص ١٩.

القضايا العربية، والمناسبات القومية. رغم أن المنطقة كانت تعاني من شبه عزلة عن بقية أقطار الوطن العربي، حتى منتصف القرن العشرين بسبب الظروف الاستعمارية، والاقتصادية، والثقافية. فقبل استغلال الثروة النفطية التي بدأت في ـ أغلب بلدان المنطقة ـ في نهاية العقد الرابع من القرن العشرين، كانت هذه المنطقة تعاني من تدهور الحياة الاقتصادية مما انعكس أثره على الحياة الثقافية والفكرية بصفة خاصة، فمن المعروف أن نظام التعليم في المنطقة ظل يسير على النمط التقليدي حتى العقد الرابع من القرن الحالي، وإذا كانت هناك بعض المحاولات في التحديث منذ العشرينيات كما هو الحال بالنسبة للكويت، والبحرين، فإن هذه المدارس الحديثة كانت محدودة في امكانياتها وبرامجها التعليمية، ونجد أن بعضاً من الشعراء الذين أطلقنا عليهم شعراء الاحياء في المنطقة قد تلقوا تعليمهم في مثل هذه المدارس، مما كان له أثره في بروز الوعي القومي عندهم. (٣)

أما جل الشعراء الذين سوف نتناول نتاجهم الشعري في إطار الوعي القومي والهم العربي، فإننا نجد أن ثقافتهم تنبع من مصادر الثقافة التقليدية في إطار التعليم السائد آنذاك، ويتمثل في العلوم الدينية، ودراسة بعض الكتب العربية من أدب ولغة، وبلاغة، وحفظ بعض الاشعار. (٤)

وربما كان للصحافة ـ رغم محدوديتها ـ دور في بث الوعي القومي بالقضايا العربية لدى بعض الشعراء والمثقفين من أبناء المنطقة، مما انعكس أثره في الشعر بصورة واضحة، رغم صعوبة الاتصال آنذاك. فأول صحيفة محلية صدرت في المنطقة هي «مجلة الكويت» التي أصدرها المؤرخ والمصلح الكويتي عبدالعزيز الرشيد عام ١٩٢٨م، وهذه المجلة كانت ذات طابع ديني اصلاحي، بالاضافة إلى اهتماماتها الأدبية والاجتماعية. (٥)

وثاني صحيفة صدرت في المنطقة بعد مجلة الكويت هي «جريدة البحرين» التي

---

(٣) الشعر الكويتي الحديث، عواطف الصباح، ص ٢٥ وأنظر الشعر الحديث في الكويت، مشاري عبدالله، ص ٤٨

(٤) الأدب القطري الحديث، صاحب هذا البحث، ص ٦٤ وانظر الأدب المعاصر في الخليج العربي، عبدالله الطائي، ص ١٣.

(٥) الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، د. محمد حسن عبدالله، ص ٦٦

أصدرها الأديب البحريني عبدالله الزائد عام ١٩٣٩م [٦]. ورغم أن الطابع العام للجريدة سياسي إلا أن صدى المعارك الأدبية والنقدية كان واضحاً فيها، كما كانت صدى للمعارك الأدبية والنقدية التي تجري في مصر بين مجموعة من اعلام الأدب العربي، مثل أحمد أمين، وزكي مبارك وغيرهما، مما يدل على التواصل الثقافي، ومتابعة الادباء والمثقفين لما يجري في وطنهم العربي الكبير. [٧]

ثم تلا ذلك صدور العديد من الصحف والمجلات المحلية في المنطقة مما كان له أثره في بث الوعي الوطني وايقاظ الشعور القومي بين أبناء المنطقة. [٨]

ثم كان للصحافة العربية أثرها الواضح في هذا المجال. فقد عرف المثقفون والشعراء العديد من الصحف العربية التي كانت تصدر في مصر والشام منذ بداية القرن العشرين مثل مجلة الرسالة التي كان يصدرها الأديب أحمد حسن الزيات، حيث كان لها صدى واسع بين الأدباء في المنطقة[٩].

ومن الصحف المصرية التي كانت منتشرة أو متداولة بين أبناء المنطقة مجلة «المنار» التي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا، و«المقتطف» و«الهلال»، و«الانصار» وغيرها [١٠] فكانت القضايا الوطنية والقومية تشغل المثقفين من أبناء المنطقة ويتحدث مبارك الخاطر عن مجلس أحد شعراء البحرين فيقول: (كان هذا المجلس ملتقى العلماء والأدباء والشعراء وعلية القوم باستمرار فيه يتطارحون الشعر بنوعيه العربي والشعبي، ويطالعون باستمرار ما استجد من الصحف أمثال: اللواء لمصطفى كامل، والمؤيد للشيخ علي يوسف، والمنار للشيخ رشيد رضا، والأهرام، والمقتطف، وغيرها من الصحف العربية، التي كانت تصدر في ذلك الوقت، وترد إلى البحرين عن طريق بومبي بالهند..). [١١]

---

(٦) أدب النثر المعاصر في شرق الجزيرة، ده عبداللم المبارك، ص ٦٦.

(٧) النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي، صاحب هذا البحث، ص ٥٤

(٨) فصول من صحافة الخليج، مجلة الدوحة ديسمبر ١٩٧٦م، د. محمد جابر الانصاري.

(٩) في الدب والحياة، فاضل خلف، ص ٢٢.

(١٠) الأدب المعاصر في الخليج، عبدالله الطائي، ص ١٦

(١١) نابغة البحرين، عبدالله الزائد، مبارك الخاطر، ص ٢٤.

وكما نلاحظ أن وصول هذه الصحف عن طريق الهند يوحي بصعوبة الاتصال بين أقطار العالم العربي آنذاك، ولكن رغم ذلك فقد كان الوعي الوطني، والحضور القومي يسيطران على مشاعر المثقفين وتعطشهم لمتابعة ما يحدث في الوطن العربي، والتفاعل مع الأحداث.

ولا شك أن العاطفة الدينية التي تسيطر على الأفهام والعواطف للانسان الخليجي قد ارتبطت بالعاطفة القومية لأبناء هذه الأمة، فالعقيدة الاسلامية متأصلة لدى أبناء هذه المنطقة ولذلك فالقضايا العربية هي قضايا اسلامية، والإستجابة لأية قضية عربية قومية تكون ملونة بالشعور الاسلامي، وهي استجابة صادقة تتفق مع روح المجتمع العربي الاسلامي وما يتسم به من خصائص وحدة المشاعر، والمصير والترابط والمصالح المشتركة التي تربط بين أبناء الأمة، بحيث يترابط الاسلام والعروبة ترابطاً عضوياً.

وهناك مجموعة من المؤثرات قد أسهمت بصورة واضحة في تأجج المشاعر الوطنية والاهتمام بالقضايا العربية لدى الشعراء في منطقة الخليج، رغم العزلة السياسية والثقافية التي أحاطت بالمنطقة بسبب الاحتلال الأجنبي. وفي مقدمة هذه العوامل السيطرة الأجنبية على المنطقة حيث خلق ردة فعل قوية بتأكيد الانتماء العربي ووحدة المصير. وهو في الوقت نفسه رفض لتلك السيطرة الأجنبية.

ثم هناك عامل آخر وهو ظهور القوميات وبروزها بصورة واضحة في الوطن العربي مع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي. فالحركات الاسلامية العربية أعطت الانسان العربي زخما من الشعور الاسلامي والوطني لمواجهة الوضع القائم آنذاك بعد تدهور الخلافة الاسلامية وما صحبها من الاستبداد العثماني في العالم العربي وبداية التغلغل الأجنبي في العالم العربي.

ففكرة (الجامعة الاسلامية) التي دعا إليها ـ جمال الدين الأفغاني ـ، وتلامذته، كان لها أثرها في بعض الأوساط العربية والاسلامية، حيث أججت روح الحماسة والمشاعر الدينية في مواجهة المد الغربي (١٢). ولكن مظاهر الاستبداد العثماني للعرب قد دفع في

---

(١٢) الاتجاهات الفكرية عند العرب، على المحافظة، ص ١٠٩.

الوقت نفسه بعض المثقفين العرب إلى الدعوة إلى القومية العربية، وبدأت تظهر الجمعيات، والتجمعات العربية منادية ومطالبة بالحقوق القومية للعرب، مثل (الجمعية العلمية السورية)، و(جمعية حفظ الملة العربية)، وغيرها من الجمعيات العلمية والسياسية. (١٣)

وقد كان لظهور القوميات، وانتشارها خاصة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أثرها الواضح في بروز الشعور القومي لدى العرب. (١٤)

وعلى يد العرب المسيحيين نشأت العديد من الجمعيات العربية، وأسهمت في بلورة التيار القومي، وطالبت باستقلالية الولايات العربية عن دولة الخلافة العثمانية. (١٥)

ثم كان للحركات الدينيةوالدعوات الاصلاحية أثرها أيضاً في بروز الوعي الوطني، وظهور النزعة الاصلاحية الشاملة في مختلف جوانب الحياة، فهناك دعاة الاصلاح الديني، والاصلاح السياسي، والاصلاح الاجتماعي، وكان في طليعة تلك الحركات الاصلاحية، الدعوة الوهابية نسبة إلى الشيخ ـ محمد بن عبدالوهاب، وهي دعوة دينية سلفية ظهرت في الجزيرة العربية، تهدف إلى اصلاح وتصحيح المفاهيم الاسلامية مما أصابها من خلط، والعودة بالاسلام إلى منبعه الصافي والعقيدة الاسلامية الصحيحة(١٦)، ونجد أن لهذه الحركة الاصلاحية أثرها الواضح على الشعراء في المنطقة بحكم صلتها وبزوغها من قلب الجزيرة العربية، كما سوف نلاحظه عند العديد من الشعراء الخليجيين.

وهناك العديد من الحركات الاصلاحية التي أسهمت في اليقظة العربية، وايقاظ النزعة الإصلاحية الشاملة مثل: الحركة السنوسية في المغرب العربي، والحركة المهدية في السودان (١٧)، وغيرها من الحركات الدينية الاصلاحية، والحركات التحررية التي

---

(١٣) حركة البعث في الشعر العربي، د. ماهر حسن، ص ١٣.

(١٤) تاريخ الحركات القومية، د. نور الدين حاطوم، حـ١، ص ١٥.

(١٥) أنظر الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة.

(١٦) الاتجاهات الفكرية عند العرب، على المحافظة، ص ٤٠.

(١٧) المصدر السابق، ص ٦٤.

عاشها العالم العربي منذ بداية القرن العشرين، هذه الحركات والجمعيات كان لها أثرها وصداها في الشعر والشعراء، ولم يكن أبناء المنطقة في معزل عن تلك الصحوة، بل إنهم تفاعلوا مع قضايا أمتهم، وشاركوا في العديد من قضايا وطنهم. فقضية التحرر، وقضية الوحدة العربية، وقضية الاصلاح والتنمية، وقضية اغتصاب فلسطين كانت من أبرز القضايا التي شغلت شعراء الرعيل الأول من أبناء المنطقة وانعكس في شعر العديد من شعرائها.

الفصل الأول
قضية التحرر

لقد عايش الكثيرون من شعراء الخليج بشعرهم حركات التحرر في الوطن العربي وعبروا بأشعارهم عن هذه القضية مصورين، ومناصرين لكفاح اخوانهم في أرجاء الوطن العربي من أجل التحرر والاستقلال. فالكفاح المرير الذي مر به الوطن العربي من مشرقه حتى مغربه في سبيل نيل حريته واستقلاله، كان محوراً بارزاً من محاور الشعر لدى الشعراء في الخليج. فقد تفاعل العديد من الشعراء مع المد التحرري في الوطن العربي رغم أن التواصل الثقافي آنذاك كان محدوداً، وثقافة هؤلاء الشعراء كانت محدودة. ولكن الواقع التاريخي، وصدق المعاناة، ووحدة المشاعر تجاوزت ذلك، وكان صدى معارك التحرر والنضال العربي يظهر جلياً مدوياً في شعر هؤلاء الشعراء، في تلك المراحل المتقدمة بالنسبة لأبناء المنطقة. ومن هذا المنطلق نجد أن معظم القصائد كانت تتسم بالتلقائية والعفوية حيث تكون استجابة مباشرة لأي حدث أو معركة، أو استشهاد بطل ثائر، أو زعيم وطني.

فكانت مثل هذه المناسبات وسيلة لدعوة هؤلاء الشعراء إلى التحرر والثورة ضد الطغيان والتخلف. فها هو الشاعر ـ صقر القاسمي ـ من دولة الامارات العربية في ندائه للشباب العربي يدعوهم إلى البذل والفداء لكي يستعيدوا مجد الأمة وتتحرر بلادهم من السيطرة الأجنبية يقول فيها (١٨):

رايــة الحق يــا شبــاب البــلاد ... مــزقتهــا بــالغــدر كــف الأعــادي
والفخــار العظيــم بكفيــه ذلاً ... أن تــوالــت على عــلاه الأيــادي
سنحت فـرصــة الــوثــوب وحــانت ... ســاعــة الفتك بــالظلــوم المعــادي

(١٨) ديوان صقر القاسمي، ص ١٢٤.

وأنـــارت كتـــائب الحق تـــدعـــو ... ولها في الفضـــاء زجـل الفـــوادي
أمكنـوا السيف، مـزقـوا الظلم، ذودوا ... عـن حمى الحق بـــالسيـــوف الحداد
وردوا الموت، وارشفـــــــــوه زلالاً ... وابـــذلـــوا النفس في مجال الطـــراد
خـاطبـــوا الخصـم إن أراد خطـــاب ... بمـــــواضي الاخـــــلاص والاتحاد

ويستثمر الشاعر تاريخ الأمة فيذكر الشباب بأمجاد أسلافهم، وبطولاتهم وسيادتهم على الأمم، لكي يستثير هممهم. فمن قصيدة يتحدث فيها عن حال الأمة وتقاعسها، وخضوعها للسيطرة الأجنبية، وانشغال بعض أبنائها بحياة اللهو والترف، في حين أن أوطانهم نهبا للمستعمر:

وســاءني أن أرى قـــومـي نفـــوسهـم ... عـن مطلـب الحق لفـت بـــاحقـــاد
واشغـل الترف المعتـــوه قـــادتنـــا ... وغـــرهـم لـــؤلـــؤ في كـف صيـــاد
لـــو في الأكـف سيـوف الهنـد لحن لما ... كـــان ابـن آوى مهيبـــا بين آســـاد
ولـــو حملنـــا التـــآخي في ضمائرنـــا ... مـا كـان عـرض العلى طـوعـا لأوغـاد
أواه أيـن حماة الـــديـن عـن (يمـنٍ) ... وقيـل عـــدنـــان مـن صيـــد وأمجاد
فما لا حفـــادكـم ظلـت تســـومهـم ... أيـدي التفـرق حتـى أقفـر النـادي
لهفـى على عـــزة بـــالأمـس دان لها ... عـز الممالك من حضر ومن بـادى (١٩)

ويطول بنا المقام لو أردنا الوقوف على أبعاد معـانـاة الشـاعـر القـاسمي ومعـايشتـه لمشاكل وهموم أمته. ونزعته التحررية في شعره فمعظم أشعاره تصور موقفه من الاستعمار وتطلعاته التحررية آنذاك خاصة وأن الشاعر كان يعبر عن تجربة حقيقية في هذا المجـال عاشها بصورة مباشرة حيث كان الشاعر حاكما لأمارة الشارقة، ولكن سـاءت عـلاقتـه

(١٩) ديوان وحي الحق، صقر القاسمي، ص ٤٣.

بالحكومة البريطانية آنذاك فتم نفيه إلى مصر.

ويرتفع صوت الشاعر الاماراتي ـ سالم العويس ـ من امارة الشارقة في دعوته التحررية، ومعاناته القومية، وثورته ضد التقاعس والتخلف الذي تعيشه الأمة العربية، فالشاعر رغم ثقافته التقليدية، والعزلة التي عاشها مجتمعه آنذاك ـ أوائل القرن الحالي ـ إلا أنه كان يواكب قضايا التحرر والثورات التي كانت تتفجر في مختلف المناطق من الوطن العربي.

ففي قصيدته «الحرب الصليبية الجديدة» تتوقد عاطفة الشاعر بتلقائية مباشرة لتعبر عن روح ثائرة ضد الواقع المؤلم:

يا من غزانا أتنجو من أراضينا ... فإن نجوت فما تدري بما ضينا
قتل النبيين لن ينساه غابرنا ... وما نسيناه فادروا كيف تبنونا
كنا على الروم قمنا يوم ثورتنا ... وما علمنا لكم إذ ذاك ملعونا
. . . . . .
هذا العراق يرى ما لا تراه لها ... وقوم لبنان والاردن تشجينا
ولا الجزائر في سلم وان قتلت ... في حربها بشراً خمسين مليونا
من ذاك أصلب عوداً من جزائرنا ... إن العروبة عود يأنف اللينا
وأن تملكها الاتراك في زمن ... جهلاً وما زعموا من ظله دينا
من ذا معي في رجال الغرب نعرفهم ... ونجعل البحث ما فيهم وما فينا
فالقوم منهم عيون العلم نافذة ... لا يدفع العلم منهم من يريدونا
أما السياسة إن الله حرمها ... إلا على نخبة النور المحقينا (٢٠)

والحقيقة أن القصيدة كمعظم شعر العويس تتسم بالبساطة وقرب التناول والتقريرية المباشرة لأفكار الشاعر. ولغته ليست لغة شاعرية أعني أنها تفتقر إلى الصورة الشعرية

(٢٠) نداء الخليج، سالم بن علي العويس، حـ١، ص ١١٣.

بحيث تتجاوز المفردات دلالتها القاموسية، ولسنا بحاجة إلى التدليل على هذ اللغة النثرية المنظومة فمعظم شعر العويس من هذا النوع، ولكن مع ذلك يبقى أن لا ننسى للشاعر ـ رغم الفقر الثقافي ـ أنه استطاع أن يكون نفسه تكوينا فكرياً، وثقافياً مع وعي تجاوز به حدود محيطه، وخرج به من نطاق تلك العزلة الثقافية التي كانت تعيشها المنطقة. بالاضافة إلى التزامه اللغة العربية الفصحى في شعره. ولعل الوعي الوطني والقومي في شعره هو الذي أعطاه مكانة بين معاصريه، ولفت الأنظار إليه.

ومن البحرين ينطلق صوت الشاعر ـ أحمد محمد الخليفة ـ متغنياً بأمجاد الشرق، داعياً اياه إلى الثورة على الظلم والاضطهاد، وإن ذلك لن يتحقق إلا برفع راية الجهاد والكفاح.

صرخة دمدمت على الغبراء ... خضبت جبهة السنى بالدماء
دكت السهل بالدوى وهزت ... فجوات الجبال بالأصداء
فتمشى هزيمها في رحاب الكون ... يرمى الاشلاء بالاشلاء
قيل ما ذلك الدوي فقالوا ... ثورة الحق وانبثاق الرجاء
إنه الشرق هب في موكب الأمجاد ... باسم البطولة السمحاء
. . . . . .
سئم الضيم والتخاذل فارتد ... غضوباً للوثبة الهوجاء
وانبرى في ضراوة يقهر ... الظلم بكف مخضوبة بالدماء
شد ما كابد الهوان وأمسى ... هدفا للمطامع الشنعاء (٢١)

وشعر أحمد الخليفة يمتاز بالوضوح، وسلاسة التركيب، ومفرداته تدور بين ديوان الشعر العربي، اسلوباً، ولغة، وأحياناً مضموناً، كما سيتضح في رثائه للبطل عبدالكريم الخطابي.

---

(٢١) العناقيد الأربعة، أحمد محمد الخليفة، ص ٢٦.

وقضية التحرر والنهضة هم وطموح راود الانسان العربي، وارتبطت عند الكثير من الادباء والشعراء بقضية التخلف الثقافي. ومن هنا اقترنت عند الكثيرين منهم بالدعوة إلى الأخذ بأسباب العلم لأنه أهم عامل في بناء النهضة والقدرة على مواجهة التحدي، ولذا نجد الشاعر العماني ـ عبدالله بن علي الخليلي ـ يربط بين النهضة والتحرر وبين الأخذ بأسباب العلم لأنه الوسيلة للنهوض ومواجهة التحدي الحضاري.

يقول الشاعر:

ركب الحضارة في الحياة يسير ... والوعي مزدهر الجناب مطير
والعلم يرفده بأنهار الحجا ... ريا ويلقح نبته التفكير
وترى الشعوب على مواكب نبلها ... فيه بالوية الطموح تسير
وترى المواكب فيه يصدها ... عن سيرها كيد هناك خطير(٢٢)
. . . . . .

ثم يناجي شاعرنا الخليلي، أمير الشعراء ـ أحمد شوقي ـ متمنياً لو أن الأجل قد أمهله ليشهد مظاهر التطور والتغيير بعد الأخذ بأسباب العلم وتلك كانت قضية تشغل أمير الشعراء أحمد شوقي في دعوته إلى الأخذ بأسباب العلم لأنه أساس البناء والنهضة:

يا ليت شوقي أغفلته يومه ... ليرى منى ما تحققت فيطير
بالله أحمد قم فقد نضح الحجا ... في ذا الزمان وانجب التطوير
واقبض يراعك لا يرعك فإنه ... طرف بميدان السباق شهير
عصر التيقظ قد خلقت من النهى ... وعيا فكان لخلقك التأثير
نجم التحرر والتكاتف والاخا ... في طالعيك وأخلق التسطير
ومشى السلام عليك غير مهدد ... وبدا التعاون فيك وهو أمير(٢٣)

---

(٢٢) ديوان الخليلي، عبدالله بن علي الخليلي، ص ١٨٤.
(٢٣) المصدر السابق، ص ١٨٤.

والحث على العلم والأخذ بأسبابه، وبيان أثره في المجتمعات الغربية من الموضوعات الأساسية لدى شعراء الاصلاح ودعاة النهضة. ولكن إرتبطت عند الكثيرين منهم بقضية التحرر. وهذا حق فالصراع بين الغرب والشرق ليس صراعاً عسكرياً فحسب، وانما هو في الأساس صراع حضاري. يسعى الغرب إلى فرض هيمنته حضاريا على الشرق، ومن هنا تصبح المواجهة مواجهة حضارية، والعلم والفكر هو السلاح الأساسي في هذه المواجهة.

فالشاعر القطري ـ عبدالرحمن المعاودة ـ يؤكد في الكثير من أشعاره على هذه القضية نستمع إليه في قصيدة يمدح فيها الملك سعود بن عبدالعزيز عندما زار دولة قطر:

يـأيها الملـك الميمـون طـالعـه ... إن المطـامـع حـول العـرب تشتجـر
للـذرة اليـوم في الـدنيـا مكـانتهـا ... فقـولها الفصـل أمـا غيره هـذر
هم طـوعـوهـا سـلاحـاً في يمينهم ... وهـم لأسرارهـا مـن دوننـا احتكـروا
فهـل يجيء لنـا يـوم نقـول لهم ... هـذى هي الـذرة النكـراءُ فـانـدحـروا
بـالعلم تجلى عـويصـات الأمـور ومـا ... شيء عن العقل في الألـوان يستتر (٢٤)

ويواكب الشاعر الكويتي ـ عبـدالله زكـريـا الأنصـاري ـ تطلعـات هـذه الأمـة، وطموحاتها فيتخذ من شعره وسيلة في الكثير من المناسبات للتغني بآمالها، وتطلعاتها، حاثا اياها على الصحوة، والأخذ بأسباب النهضة، وله العـديـد من القصـائد في هـذا المجال ونقف عند نموذج منها وهي قصيدة نشرها عـام ١٩٤٨م بمجلـة «كـاظمـة». ويتخذ من مأساة فلسطين مناسبة للدعوة إلى الثورة، واعلان الجهاد والكفاح فالحقـوق لن تصان إلا بالجهاد والدفاع عنها:

يـا بنـي العـرب والعـدو مجد ... ليس تنجـو أوطـاننـا بـالنـواح
مـا عليـه إذا استبـاح ضرامـا ... أي لـوم، ومـا لـه مـن جنـاح

(٢٤) القطريات، عبدالرحمن المعاودة، ص ٣٤.

إنما اللـــوم أن تـــرانـــا قعـــوداً ... وســـوانـــا يسير نحـــو النجـــاح
إنما اللـــوم أن نظـــل بقفـــر ... وســـوانـــا ببـــاســـق الأدواح
فـاطلبـوا الموت بـالجهـاد لتحيـوا ... وانشـدوا العـز فـوق هـام الأضـاحي
قـد أتـت سـاعـة الجهـاد وقـد ... دقـت فحيـوا على العـلا والفـلاح
فحيـاة الفتـى على الشـوك أحلى ... في ذرى العز من خـدود الأقـاحي(٢٥)

فـالحريـة لا تعطى وإنما تنتـزع بـالقـوة والتضحيـة والكفـاح، وهي السبيل لبلـوغ الغاية، وأنه لا قيمة للحياة في ظل الاستعباد.

واستغل بعض الشعراء المناسبات الدينية والوطنية ليبثوا من خـلالها الـوعي القـومي والوطني بين الجماهير في دعوتها للتحرر، والثورة ضد الظلم والطغيان. فها هو الشاعـر القطري ـ عبدالرحمن المعاودة ـ عندما كان يقطن البحرين ـ يتخذ من مناسبة الاحتفـال بذكرى وفاة الحسين بن علي منطلقاً في الدعوة إلى التحرر، ولاستعـادة العـرب لحقـوقهم المسلوبة.

عـاث الأجـانب في هـذى البـلاد ولم ... يـروا أمـامهـم في القـوم مـن رجـل
إذا الطغـاة تمادوا في ظـلالهم ... يقـومـون بحـد السيف والأسـل
عهـد لنـا كـان بـالأسـلاف مـزدهـرا ... فهـل يكـون لعـود منـه مـن أمـل
. . . . . .
إن الامـام الحسين السبـط وهـو كما ... في علمكم نسل خير الخلـق والـرسـل
ضحـى وقـاوم عـدوان الطغـاة ولم ... يلحقـه في اللـه من وهـن ومـن كلـل
حتـى غـدا علما في كـل مكـرمـةٍ ... وكـان في زمـرة الأبـرار في الأول
والمجـد لا يشترى إلا بعـاصفـة ... تجتـث كـل غشـوم جـائر نـذل
والعـز في قبـة الافـلاك مـربعـه ... يـرقى لـه غير ذي ضعف وذي كسل(٢٦)

(٢٥) ديوان الشعر الكويتي، د. محمد حسن عبدالله، ص ٢٢٨.
(٢٦) القطريات، عبدالرحمن قاسم المعاودة، ص ١٣٢.

والمعاودة كغيره من شعراء الاحياء في المنطقة غالباً ما يربط ويوازن بين واقع الأمة وتخلفها، وبين ماضيها المجيد. لكي يستثير أبناءها، ويدفعهم إلى الأخذ بأسباب النهضة، وطريق التحرر.

وكان للثورات العربية كالثورة المصرية، والثورة الجزائرية وغيرها من الثورات والحركات التحررية صداها لدى شعراء المنطقة. وكان لثورة ٢٣ يوليو المصرية أثرها الواضح، وصداها السياسي البارز على الانسان العربي بصفة عامة وعلى الشعراء بصفة خاصة، فقد تجاوب معها هؤلاء الشعراء في الخليج رغم فتور التواصل الثقافي آنذاك بسبب العزلة السياسية كما ذكرنا، إلا أن الاحساس القومي كان أقوى من تلك العزلة. حيث تغنى الكثير من الشعراء بهذه الثورة، واعتبروها فاتحة خير لانطلاق الأمة من جديد في أخذ مكانتها بين الأمم.

يقول الشاعر البحراني ـ أحمد محمد الخليفة ـ معبراً عن بهجته وفرحته بهذه الثورة:

فجر يطل على الحياة ويشرق ... والنصر في أوضاحه يتألق
اليوم ضوأت الليالي وانمحى ... ليل تردى في دجاه المشرق
هذى بلاد النيل عالية الذرى ... علم الجهاد على رباها يخفق
نادت إلى الهيجاء أبطال الوغى ... والمجد يحدو والفخار يصفق
أحيت بوثبتها أماني أمة ... ترنو إليها في الحياة وترمق
يا مصر انك للعروبة منبر ... بالمكرمات وبالحضارة ينطق(٢٧)

ويسترسل الشاعر في وصف هذه الثورة وأثرها على مسيرة الأمة العربية وإنها بداية ليقظة العرب، وتحقيق أمانيهم.

ويكاد يكون الشاعر الإماراتي ـ صقر بن سلطان القاسمي ـ من أكثر شعراء المنطقة تفاعلاً مع الثورة المصرية، وحماساً لها، ولقائدها جمال عبدالناصر.

---

(٢٧) العناقيد الأربعة، أحمد محمد الخليفة، ص ١٩.

يقول الشاعر في احدى قصائده بمناسبة قيام الثورة:

يـا شرق بشراك هـذا اليمن طـائره ... بـدت تهنّيك مـن مصر بشـائره
لاحت بـوجـه (أبي) مـا دعتـه إلى ... غير المكـارم والتقـوى مشـاعـره
في ظلمـة اليـأس والأرواح زائغـة ... ومـرجـل الحقـد يشـوى الحق فـائره
. . . . . .
فقيض اللـه للـوادي أخـا سهـر ... مـوفـق الـرأي نحـو المجـد طـائره
«جمال» يـا بلسم الأرواح فـاغـرة ... جـراحهـا دمـت للـوادي تـؤازره
بعثت في فترة بـالجهـل مظلمـة ... فـانجـاب عنك بحـول اللـه قـاهـره
دع الطغـاة بما قـالـوا ومـا أثموا ... لا يصلح الأمـر مـا لانت بـوادره[٢٨]

وفي قصيدة أخرى يدعو ويتمنى الشاعر من الجيش المصري أن يكون بـارقـة أمل في تحرر الشرق، وخلاصه من ظلم الاحتلال، والسيطرة الاجنبية.

يـا جيش قـدنـا إلى نـور الهدى فلقـد ... طـال الظـلام وحـارت فيـه أبصـار
وانـزع مـن الشرق أقصـاه وابعـده ... مـا لـوثتـه، فقـد حفتـه أسرار
جمال حقـق أمـاني العـرب قـاطبـة ... في مصرها، يشدو للسودان قيثار[٢٩]

والشاعر الكويتي ـ صقر الشبيب ـ في مطولته عن الثورة المصرية ودورها وأثرهـا في الأمة العربية، يوضح لنا هذا التلاحم والترابط ووحدة المشاعر والآمال.

((٢٨) ديوان القاسمي، صقر بن سلطان القاسمي، ص ١٨٦.
(٢٩) المصدر السابق، ص ١٩٦.

يقول صقر الشبيب :

لقد انعشت مصر رجاء بني العرب ... فأثنى عليها منهم كل ذي لبّ
غدت من بني العرب الكرام جميعهم ... مناط عرى الآمال في السلم والحرب
. . . . . .
فلا برحت مصر بهم وهي مصدرٌ ... لفرحة أسلاف العروبة والعقب
فأي كرام العرب ماسر قلبه ... ودستورها الشعبيُّ يعلن للشعب
وما الشعب إلا بعض أمة يعربٍ ... على حالتي رهب الحوادث والرّغبِ
تبسم عنهم ثائرين فحققوا ... بثورتهم آمالنا مَبْسِمُ الغيبِ
. . . . . .

ويبين الشاعر أثر هذه الثورة، وتطلعاته في أن يتحقق عن طريقها التحرر لبقية الوطن العربي.

وإنا لنرجو أن يتوجّ سعيهم ... بنزعهم م جنبنا شوكة الجنب
فقد كربت منا القلوب ولم يكن ... سوى نزعها يشفى القلوب من الكرب
تأذى بنو قومي فسرّ أذاهم ... أناساً أقاموها طريقاً إلى السلب(٣٠)

ولم يتوقف تفاعل هؤلاء الشعراء عند الثورة المصرية فحسب بل نجد أن هذا الشعور القومي، والحس الوطني، ونزعة التحرر تجعل هؤلاء الشعراء يتابعون حركات التحرر ويتفاعلون معها حتى في أقصى المغرب العربي، فكان للثورة الجزائرية صدى واسع لدى هؤلاء الشعراء فها هو الشاعر ـ أحمد محمد الخليفة ـ من البحرين يتغنى ببطولة الشعب الجزائري مباركا ثورته ضد الظلم والاحتلال :

---

(٣٠) ديوان صق الشبيب، ص ١٠٩.

هـذى الجزائر يـا لـوثبـة أمـة ... فيهـا تـرد الغـاصبين وتعـدم
تهتـز في وادي اللهيـب كـأنها ... قـدر يسيره القضـاء المبرم
تجتـاحهـا نـار الطغـاة وإنها ... بـالنـار تهزأ والحتـوف تحوم
اللـه أكبر يـوم هـب كميهـا ... ليقـاوم الخطـر المهـول ويهدم
مـن كـل محترب كـأن سـلاحـه ... في الليـل بـرق بـاللظى يتبسم (٣١)

ويبلغ الحماسة والانفعال بالشاعر الكويتي ـ صقر الشبيب ـ مبلغه متعاطفاً مع الثورة الجزائرية فيتحامل على العرب لائماً معاتباً، لتقاعسهم وعدم مشاركتهم الفعلية لاخوتهم في الجزائر في هذه الثورة، فها هو يكاد يشك في صدق عروبة قومه، وانتسابهم إلى تلك الأصول التي كانت تأبى الضيم، وتهب لنجدة المحتاج.

دعـوا الجزائر تلقى الـويـل والحربـا ... ثـم ادعـوا أنكـم مـا زلتـم عـربـا
لـو لم نـزل عـربـا لم تلـق اخـوتنـا ... من دوننـا كـل مـا قـد آد أو كـربـا
ولم نجـد بينهـم مـن عـن معـونتهـم ... بـالنفس والمال لا بـالقـول قـد هـربـا
وأصبـح الكـل منـا جهـد طـاقتـه ... مخففـاً عنهـم الأشجـان والتعبـا
مشـاركـا لهم في كـل نـازلـة ... تستبـذل الجهـد منـه صـال أو وهبـا
أمـا ويعـرب لـو ظلنـا بنيـه رأت ... منـا فـرنسـا شجـاً في حلقهـا نشبـا
ومـا أحسّت وقـد جـاءت بفعلتهـا ... فينـا فتـى ضـدهـا لم يستحـل لهبـا
أيعـربيـون مـن أفعـالهم بعـدت ... عن فعـل يعـرب فيما جـل أو حـزبـا
ظننـت ظنـا شجـاني أن رابطنـا ... بيعـرب المعتلي قـدراً قـد انقضبـا (٣٢)

---

(٣١) هجر وسراب (من العناقيد الأربعة)، أحمد الخليفة، ص ١٤
(٣٢) ديوان صقر الشبيب، ص ١٥١.

ومن قطر يرتفع صوت الشاعر ـ عبدالرحمن المعاودة ـ داعياً العرب إلى مناصرة اخوتهم في الجزائر. وان كنا نستغرب من موقف المعاودة حيث لم تأت هذه القضية عنده إلا عرضا في أبيات من قصيدة يمدح فيها الشيخ أحمد بن علي ـ حاكم قطر آنذاك، وإن كنا نعرف عن المعاودة أنه شاعر له حضوره العربي في قضايا أمته خاصة في المرحلة الأولى من شعره عندما كان يقطن البحرين، فكانت أشعاره صدى للقضايا العربية. (٣٣)

يقول المعاودة:

بني قومنا يا بارك الله فيكم ... بكم عزة الاسلام والشرف السعد
ألا فاذكروا شعب الجزائر إنه ... لشعب شقيق ليس عن نصره بد
يعيشون في ظل البنادق ما ونى ... جهادهم أو فل من عزمهم كد
مشى الكهل جنب اليافع الصلب معلنا ... مهنده والموت في فمهم شهد
وسارت كرام الآنسات تحثهم ... وتقدمهم والجو بالنقع مربد
يذودون عن حوض العروبة والعلا ... فما صدهم زجر ولا غرهم وعد
ألا فاذكروهم واعرفوا حقهم لهم ... فما هان شعب في الشدائد يشتد(٣٤)

وهكذا نجد الكثير من القصائد تسجل مآثر الثورة الجزائرية، وتحث أبناءها على الكفاح والنضال، وتلهب مشاعر اخوتهم في الخليج للوقوف معهم. وكان للشعراء في الخليج أثر واضح في تعميق الوعي القومي بين أبناء المنطقة وبين اخوانهم في المغرب العربي، إلى جانب فضح أساليب الاستعمار، واستنهاض الأمة لمقاومته.

ومن هنا نجد أن بعض الشعراء قد استغل المناسبات المختلفة لكي يوقظ الاحساس الوطني، ويحاول الربط باستمرار بين أبناء الأمة الواحدة، فها هي جريمة العدوان الثلاثي على مصر تهز الانسان العربي هزاً عنيفاً، ويقف الشعراء الخليجيون ـ رغم وقوع

---

(٣٣) شعر المعاودة بين معاناة الحاضر واستلهام الماضي، د. محمد كافود حولية كلية الآنسانيات ـ جامعة قطر ـ العدد العاشر ١٩٨٦م.

(٣٤) دوحة البلابل، عبدالرحمن المعاودة، ص ٤١.

بلدانهم تحت نير الاستعمار آنذاك ـ منددين بالاستعمار الغربي، داعين إلى مساندة مصر والوقوف معها. فالشاعر الكويتي ـ عبدالله سنان محمد ـ يرتفع صوته بهذه المناسبة مشيداً بالبطولة والبسالة التي أبداها أبناء مصر:

اليوم يومك بور سعيد ... يوم تمثل في الوجود
يوم على صفحاته ... نقشت علاه يد الخلود
. . . . . .
شعب سقى الاعداء كأ ... س الموت بالسيف الصليت
شعب يقاتل وهو ملـ ... ـتزم التوازن والثبوت
. . . . . .
سقطت فرنسا تحت أقـ ... ـدام الأشاوسة الأماجد
وتحطمت انجلترا ... إذ جن (ايدنها) المعاند
والمسخ ثالثة الأثا ... في إنها رغم المكائد
قد زعزعت أركانها ... وتصاعدت بيد وساعد
هن الثلاث الغادرا ... ت نصبن أشواك المصائد
لكن أبناء العرو ... بة للثعالب بالمراصد (٣٥)

والقصيدة كمعظم النماذج الشعرية للشعراء المحافظين أو من أطلقنا عليهم بشعراء الإحياء يتسم شعرهم بالبساطة، والتقريرية والتعبير المباشر، ويفتقد في أغلبه الصور الشعرية، والعاطفة المتدفقة، وإذا جاز لنا التعبير فيمكن القول إن بعض هذه النماذج يصل كما يقول أصحاب المنهج الأسلوبي، إلى درجة الصفر في الكتابة واستخدام اللغة الاصطلاحية التي لا تسمو إلى اللغة الفنية إلا من حيث إقامة الوزن.

---

(٣٥) نفحات الخليج، عبدالله سنان، ص ٥٩.

ولكن هناك بعض النماذج الشعرية التي تتجاوز الاسلوب التقريري فتتسم بسلاسة الاسلوب والقرب من التصوير، وهذا ما يتمثل في قصيدة الشاعر الاماراتي ـ صقر بن سلطان القاسمي ـ في المناسبة نفسها وهي العدوان الثلاثي.

يقول الشاعر:

ما رد هبّ من عميق سباته ... يتحدى الخطوب في وثباته

جاوز النجم رفعة وسناء ... والمنى الرحب في سمو سماته

يلهث الفكر حين يسمو إليه ... فسل الوهم هل درى عن شياته

ملأ الشرق عزة فإذا في ... كبد الغرب طعنة من قناته

أذهلته وحطمت كبرياءً ... طالما أرهب الورى بدعاته

فإذا بالعظيم أحقر وغدٍ ... تتعالى العيون عن نظراته

وإذا ألحق وهو ما يدعيه ... يتلاشى بالسخف من كلماته (٣٦)

ويتناول الموقف من القاسمي الشاعر العماني ـ عبدالله الطائي ـ وهو من الشعراء المثقفين ومن الرعيل الأول الذين حملوا هم المعاناة القومية فهو من الشعراء المخضرمين وإن كان تعليمه، ورحلاته وتنقلاته جعلته يعايش قضايا أمته عن قرب، وربما استشهدنا بنماذج من شعره، مع أن توجهنا في هذا البحث كان الهدف منه هو الوقوف عند شعراء الاحياء من ذوى الثقافة التقليدية لندلل على أنه رغم العزلة الثقافية والاعلامية ومحدودية الاتصال الجماهيري، لأسباب أسلفنا ذكرها، إلا أن الحس القومي، والتفاعل بالقضايا العربية كان له حضوره الواضح لدى الشعراء في تلك الفترة.

---

(٣٦) ديوان القاسمي، صقر القاسمي، ص ١٠٠.

أما بالنسبة ـ للطائي ـ فإن هذا الاتجاه كان أكثر وضوحاً عنده نتيجة لمعايشته المباشرة لهذه القضايا، حيث درس في العراق، وتنقل كثيراً آنذاك بين أقطار الوطن العربي.

يقول الشاعر: واصفا العدوان الغاشم، بتحالفه، الثلاثي وموقف أبناء مصر ونضالهم لهذا العدوان:

أتوا والبغى رائدهم ... فلم نحفل ببغيهم
وصهيون تؤازرهم ... فلم نجزع ولم نلم
وخضنا الحرب موقدة ... تعج بأفضع الحمم
فقابلنا تحالفهم ... بقلب للعدى قرم
فاضحى جيشهم لحما ... و(بورسعيد) كالوضم
. . . . . .
بني الأعمام في مصر ... جزاكم مجزل النعم
لقد شيدتم مجداً ... ليعرب عالى القمم
بكم قويت اخوتنا ... وأنف الخصم في رغم (٣٧)

وتتجلى وحدة المشاعر، ووحدة الآمال والتطلع للتحرر، في مظاهر عديدة من المناسبات التي سجلها شعراء الخليج بالنسبة لتفاعلهم مع قضايا أمتهم، فاستشهاد بعض المناضلين، أو سجنه، أو نفيه، نجد صداه واضحاً في شعر هؤلاء الشعراء: فوفاة الزعيم العربي المناضل سعد زغلول تهز وجدان الشاعر العربي الاماراتي ـ سالم بن علي العويس ـ فيتخذ من رثائه منطلقا للدعوة إلى مواصلة الكفاح والنضال على طريقه لتحقيق آمال الأمة في تحررها:

---

(٣٧) لفجر الزاحف، عبدالله محمد الطائي، ٣٧.

لم تأت ظلماً وما أحدثت تبديلاً ... فارزق عبادك تفويضاً وتبديلا
ما فقد زغلول خطب يستهان به ... بعث بكل بلادٍ منك زغلولا
رعى المهيمن روحاً رفرفرت ومضت ... وحاط نعشا على الأعناق محمولا
أين الذي في سكون الليل يكلأكم ... وكلكم في ثياب النوم مجدولا
حامت عليه ليالي الحرب كالحة ... فقارع الشر اجمالا وتفصيلا
لاحت له مصر أحزابا مقطعةً ... فضمها قوةً واستأصل القيلا
لا يوقظ الشعب إلا ما جد ثقة ... فتىً يعد قرين الظلم مسؤولا

. . . . . .

هيا اخلفوه وإلا فاعبدوا صنما ... من المخاوف مملوءاً تهاويلا
ليس الزمان وإن عاتبت معتذراً ... فاجعل زمانك أعمالاً وتأميلا
حياة سعد لأهل الشرق موعظةً ... إن كان فيهم لثوب الرقّ تبديلا (٣٨)

وهي قصيدة تمتاز بصدق العاطفة، وسلاسة الاسلوب، والنقلة من التعبير المباشر إلى اللغة التصويرية، وتعد من القصائد الجيدة في شعر العويس.

والشاعر البحراني ـ أحمد محمد الخليفة ـ يمتد بحسه القومي إلى أقصى المغرب العربي فيهزه حدث وفاة البطل العربي المناضل عبدالكريم الخطابي فيرثيه قائلاً:

نعتك العُلى لما بكتك النوادب ... وكادت من الناعي تخر الكواكب
فخطبك خطب المكرمات وطالما ... بموت فتى فرد تموت المناقب
سرى البرق في الآفاق ينعى مجاهداً ... قضى بعد ما هانت لديه المصائب
أحقا قضى عبدالكريم وأصبحت ... كتائبه محزونة والمضارب

(٣٨) نداء الخليج، سالم بن علي العويس، ١٢٠.

بكتــه السيــوف المرهفــات وحمحمت ... من الحزن في البيـد العتـاق السـلاهبُ
ونــاحـت أســاطير الجهــاد على فتـى ... بـــه للعلى كـــانـت تسير المواكـب
فقل لـرفـاق السيف من بعـد مـوتـه ... رويـدكم فـالخطب للصبر غـالـبُ
دعــوا السيف يغفــوا في القــراب فإنما ... قضـى فجـأة عنـه الكمـى المحـارب
ولا تسرجــوا من بعــده الخيل للــوغى ... فما أحـد من بعـده اليـوم راكبُ(٣٩)

والحقيقة أن القارىء لهذه القصيدة يظنها بل قد لا يتردد في أن ينسبها لشاعر من شعراء العصر العباسي، بإسلوبها، وصورها، وأفكارها. فالشاعر هنا ينهل من ثقافة شعرية تراثية، لم يستطع أن يتجاوزها حتى في موقف الرثاء الذي هو أكثر ما يكون فيه الشاعر صدقا في التعبير، فبكاء النوادب، وخرور الكواكب، وسريان البرق، وبكاء السيوف وحمحمت الخيل.. الخ كلها صور وأساليب تقليدية من قاموس الشعر العربي. في حين أننا نجد في القصيدة السابقة للشاعر سالم العويس رغم ثقافته التقليدية، إلا أنه في رثائه لسعد زغلول قد استطاع، أن يعبر عن الموقف بأسلوب معاصر يتسم بالسلاسة، والحداثة، وسهولة التعبير مع جزالة اللغة وفصاحتها، وبساطة الصور عنده.

وحادثة نفي الملك محمد الخامس ملك المغرب تهز الشاعر العماني ـ عبدالله محمد الطائي ـ فينبرى لهجاء فرنسا، والاشادة بموقف الملك وبطولاته، مذكرا الغرب ببسالة العرب ومواقفهم، وإبائهم للضيم واصرارهم على نيل حقوقهم:

قـد نـذرنـا للغـد الحر دمـانـا ... ومشينـا لا نبـالي بعـدانـا
أمـــــةٌ نحـــن رأت أنّ لها ... في سعير الحرب اجـلالا وشـأنـا
صحـت الـدنيـا على عـزمتنـا ... مـذ تمادى خصمنـا فيما سقـانـا
....

(٣٩) بقايا الغدران، أحمد محمد الخليفة، ص ١٠٧.

هكـــذا نحـــن كـــــرام فـــإذا مسنـا الضر اعتصمنـا بـابـانـا
وبعثنـــاه كفـــاحـــاً صـــارمـــا واقتحمنـــا الهول والموت هـــوانـــا
روعـــت مـــراكـــشٌ فـــانتفضـــتْ تعقـــد العـــزم وهـــاجـت بـركـانـا
وانضـــوت حـــول لـــواء ظـــافـــر بـالبطـولات سماهـا بـالعـزّ زانـا
قـــادهـــا نحـــو منـــاهـــا ملـكٌ فهـم الملـك جهـاداً وصيـانـا (٤٠)

والحقيقة أننا لا نجد مناسبة من المناسبات القومية أو حدثا من الاحداث، إلا ونجد أن شاعراً أو أكثر من شعراء المنطقة قد تناوله، وتفاعل معه ويطول بنا المقام لو تناولنا كل هذه المواقف، ولكن يكفي أن أشرنا إلى أهم المعالم البارزة عند هؤلاء الشعراء فيما يتصل بقضية التحرر والكفاح في الوطن العربي منذ مطلع القرن الحالي، ومدى انعكاس هذه القضية في شعرهم.

(٤٠) الفجر الزاحف، عبدالله الطائي، ص ٤٧.

الفصل الثاني
قضية الوحدة العربية

ظلت قضية الوحدة العربية أمنية الانسان العربي على امتداد الخارطة العربية، بل تحولت الأمنية إلى حلم من الأحلام لدى المواطن العربي.

فها هي السنون تمر والعالم بأسره يزداد تعقيدا بتكتلاته، القومية، أو العسكرية أو الاقتصادية، أو الاقليمية، وما زالت الدول العربية وأمنيات الوحدة تراوح في مكانها.

وكما أشرنا سابقاً في المقدمة إلى أن فكرة الوحدة فكرة قديمة، قد تتجاوز بداية القرن الحالي، إلى قرون خلت عندما تفسخت الدولة العربية الاسلامية إلى دويلات، وإمارات صغيرة بعد سقوط الدولة العباسية ثم كانت وحدة شكلية تحت مظلة الحكم العثماني. ولكن أصبحت هذه الوحدة قضية ملحة بعد سقوط الخلافة العثمانية، وبداية الزحف الاستعماري الغربي على الوطن العربي، وتكريس الاقليمية والتجزئة في الوطن العربي. من هنا بدأ المثقفون والمصلحون والأدباء في الدعوة إلى الوحدة، وأن نهضة العرب، وقوتهم مرتبطة بوحدتهم، وإنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالوحدة الشاملة. وقد حمل الشعر العربي عبء هذه القضية، وتعالت أصوات الشعراء على امتداد الوطن العربي تنادي بهذه الوحدة. (٤١)

وكان للشعراء في الخليج وفي فترة مبكرة دور واضح في دعوتهم لهذه الوحدة، فها هو شاعر الخليج ـ خالد الفرج ـ تؤرقه أحلام الوحدة ويتغنى بها ويدعو إلى هذه الوحدة، ويتمنى لو أن (بسمرك) قد ظهر في هذه الأمة ووحدها، كما وحد الأمة الالمانية، يقول في قصيدة نظمها عام ١٩٢٦م وبعث بها إلى أحد أصدقائه:

عرج بنا نحو الخيال فإنه ... رحب المجال لذيذة خطراته

هل في الجزيرة غير شعب واحد ... قد مزقت بيد العدا وحداته

---

(٤١) دور الأدب في الوعي القومي العربي (بحوث في ندوة) د. علي عباس علوان، ص ٢٤٩.

من لي ببسمـــرك يضـم صفـــوفـــه ... وعليـــه تجمع نفسهـــا أشتـــاتـــه
فيعيـــد مـن هـــذه الممالك وحـــدة ... والعلـم تخفـق فـــوقهـــا رايـــاتـــه
شعب بنـــو قحطـــان ركـن أســاســه ... وبنـــو نـــزار في العلى شرفـــاتـــه (٤٢)
. . . .

ويصور الشاعر هذا التفكك والضعف الذي تعيشه هذه الأمة بسبب التجزئة، والخلافات، ويرى أنها لو تجمعت في وحدة واحدة لقويت شوكتها، وصعب على الأعداء النيل منها:

هـذى بـــلاد العـــرب في ضعفهـــا ... لا يعطـــف الجار على جيرتـــــه
في كـــل شبر دولـــة تـــاجهـــا ... كصـــاحـب التمثيـل في جـــوقتـــه
وهـــذه الـــدولات مجمـــوعهـــا ... أحقـــر أن يعتـــد في كثـــرتـــه
لكنهـــا لـــو جمعـت لقمـــة ... قـد تتعب الماضغ في مضغتـه (٤٣)

ووحدة الأمة كان هاجساً عاشه الشاعر ـ خالد الفرج ـ ولذلك كان معجباً بالملك عبدالعزيز آل سعود لأنه استطاع توحيد الجزيرة العربية. (٤٤)

وكانت الأزمات، والمصائب التي تمر بها الأمة مدعاة لأن يتخذ منها الشعراء مناسبة في دعوتهم للوحدة والتكتل ضد الأطماع الأجنبية. فها هو الشاعر ـ صقر الشبيب ـ يرى أن مصير الأمة مرتبط بوحدتها، وانها بلا وحدة ضياع كما يقول في قصيدة نشرها عام ١٩٣٨م، يقول فيها:

---

(٤٢) ادباء الكويت في قرنين، خالد سعود الزيد، ص ١٦٢.
(٤٣) المصدر السابق، ص ١٦٧.
(٤٤) خالد الفرج حياته وآثاره، خالد سعود الزيد، ص ١١٣.

ستبقى على الأحقاب حقبا إلى حقب ... خيالاً على رغم المنى وحدةُ العُرْب
وأيُّ أمور الناس وحدَّ بينهم ... إذا لم توحد بينهم شدة الخطب
ولا خطبَ يبلى صبر كل أخي نهى ... كريم ويطوى القلب منه على ندبِ
كهذا الذي يضحى ويمسى محولا ... فلسطين من كرب شديد إلى كربِ
ولو ألقت ما بيننا يد خطبا ... كتأليف كفّيَ مثله الشعب ذا الإربِ
. . . . . .
ولو تم من قبل اتحاد بني أبى ... أخاف العدى منها المحيّا الذي يصبي (٤٥)

ويتبلور مفهوم الوحدة عند ـ صقر الشبيب ـ في رؤية واقعية ملموسة يعتبر أن أي قطر عربي موطنه الذي يستطيع العيش فيه، فإذا ضاقت الكويت عليه فإن الوطن العربي كله موطن ومقام له يستطيع العيش فيه بسعادة دون احساس بالغربة، ففي مقطوعة من قصائده تحت عنوان «قومى العرب» يؤكد معاني وصدق احساسه بهذه الوحدة في قوله:

فإن تضق الكويتُ اليوم عنى ... وما ضاقتْ بأمثالي الديارُ
فكم بلد لقومى العَرب فيه ... سيحلو لي من السعة القرار
وليس بموت من ظمأ وجوعٍ ... بمربط ظالم إلا الحمارُ (٤٦)

أما الشاعر ـ سلطان بن صقر القاسمي ـ فهو من أكثر شعراء المنطقة حماساً للوحدة العربية وهي هاجس يلازمه، فلا يكاد يعرض في شعره لقضية أو موضوع من الموضوعات التي تتصل بمشاكل الوطن العربي ـ وما أكثر ما يتناولها ـ إلا ونجده يلح الحاحاً على قضية الوحدة العربية، ويرى أن الفرقة هي سبب الضعف والضياع، وهي

(٤٥) ديوان صقر الشبيب، ص ١٠٥.
(٤٦) المصدر السابق، ص ٢٤٧.

الداء الذي يمخر في جسم هذه الأمة. ففي قصيدة تحت عنوان «ما نحن فيه» يصف حال الأمة وما آلت إليه من ضعف وتخاذل، ويرجعه إلى سبب التفكك والفرقة التي تعيشها، يقول:

ونحن كما يهوى أخو البغي أمة ... مفككة حيرى وإن حازها شرق
فاهواؤنا شتى وافكارنا سدى ... إذا لم يكن رأي الدخيل لها أفق
ومن عجب نشكو من الجوع والظمأ ... واقطارنا خيراتها للعدى دفق
تباع وتعطى كالرقيق بلادنا ... فلا قوة منا ولا منهم رفق
فيا أمة الاسلام ماذا غدا بنا ... نهان فلم ينبض بأجسامنا عرق
إلام مُقام الذل يا شعب (أحمد) ... تعاجزتم والدهر يدعوكم شقوا
. . . . . .
أفيقوا فقد طال الرقاد وأوشكت ... كرامتكم أن لا يخاط لها فتق
أفيقوا فما داع أحق اجابة ... من الوطن الغالي ففي حقه فاشقوا(٤٧)

والقاسمي شاعر عربي يحمل معاناة أمته، من خلال عاطفة شاعرية ينبعث منها الأسى والحزن، للواقع الذي يعيشه بني قومه، وكيف يعشش فيهم داء الفرقة، والجهل، واللهو، ولذلك نجده دائما يدعو إلى الأخذ بالعلم، والوحدة، والجد لأنها السبيل لكي تعود هذه الأمة إلى مكانتها بين الأمم، وتستعيد ماضيها المشرق:

لهفي على الشرق ما للجهل يقعده ... عن نيل ما خطه في لوحه القلم
عدت عليه عوادي السوء فانخذلت ... أنصاره مذ زلت به القدم
ولو إلى وحدة شمّاء راسخة ... أوتادها لجأوا، أو حبلها اعتصموا

(٤٧) ديوان صقر القاسمي، ص ٣٢٨.

قومي!! ويا أسفا إن قلتها وبدت ... خليلة لي من آسادها الأجم
هبوا سراعا كفتكم نومةٍ نزعت ... ما شدتم فالام النوم ويلكم
فشيدوا ببناء العلم مملكة ... أساسها الدين والأخلاق والكرم (٤٨)

وها هو الشاعر ـ عبدالرحمن المعاودة ـ يقارن بين ماضي العرب وماكانوا فيه من عزة وقوة، وكيف سادوا العالم، وبين واقعهم الحالي وما هم فيه من ضعف وتخاذل. ويرجعه إلى فرقتهم، والضغائن، والتباغض، فيما بينهم، يقول المعاودة من قصيدة له تحت عنوان «الوحدة الكبرى»:

مجد لنا قد ناطح الجوزاء ... فزكى وطاب وعطر الأرجاء
تلك المآثر للجدود وإنها ... تجلو عن الماضي السعيد غشاء
سل عنه بغداد الرشيد وجلقا ... والقيروان وسائل الزهراء
اسلافنا عرفوا الوفاء ووحدوا ... باسم العروبة والحنيف لواء
وبنوا صروح المكرمات عتيدة ... وسموا ونالوا العزة القعساء
يا ليت شعري والأماني جمة ... هل يستجيب لنا الزمان نداء
فنرى بلاد العرب كلا شاملا ... من فاس حتى القدس فالزوراء
الوحدة الكبرى هي الهدف الذي ... نسعى لنبلغه صباح مساء
. . . . . .
تسعون مليونا إذا ما وحدت ... وتنكبت في سيرها الأعداء(٤٩)

---

(٤٨) ديوان صقر القاسمي، ص ٣٢٨.
(٤٩) ديوان المعاودة، عبدالرحمن المعاودة، ص ٣٩.

وربما يكون للعزلة السياسية التي عاشتها منطقة الخليج بسبب السيطرة الأجنبية أثرها في كثرة اهتمام شعراء المنطقة بقضية الوحدة، وتركيزهم عليها. ولقد كان للوحدة المصرية السورية، واعلان الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨م أثره الواضح على نفوس هؤلاء الشعراء فأشاد الكثيرون منهم بهذه الوحدة ودبجوا الكثير من أشعارهم في مدح الزعيمين ـ جمال عبدالناصر، وشكري القوتلي ـ لدورهم في بزوغ هذه الوحدة، التي كانت حلماً فأصبحت حقيقة، يقول الشاعر ـ صقر بن سلطان القاسمي:

قف واحن رأسك هيبة وجلالا ... حي الذي بالأمس كان محالا
أشرقت يا فجر الجهاد ولم تعد ... تلقى لديك الحادثات مجالا
وتحققت أحلامنا فإذا بنا ... عبر الزمان نسابق الأجيالا
أمتوجا هام الجهاد بوثبة ... سجد الجهاد لعزها إجلالا
ما زلت شكري في الطليعة دائما ... تعلى البنا وتحطم الأغلالا
. . . . . .
أرجعت ماضينا أعدت شبابه ... فغدا توثبه ظبأ ونصالا
وإذا آمال العروبة تلتقي ... أهدافها لما غدون نضالا
وإذا (الشام) و(مصر) قلب واحد ... والكل يصبح في الجهاد (جمالا) (٥٠)

والشاعر ـ سالم بن علي العويس ـ تغمره فرحة اعلان الوحدة المصرية السورية فيعبر عنها في أكثر من قصيدة مبتهجا بهذه الوحدة، ومحذرا من كيد الأعداء وتربصهم للايقاع بين أبناء الأمة الواحدة، لأن الأعداء يخافون من هذه الوحدة، يقول العويس:

عراك لأخرى خطوة بالمخالب ... واخواننا شمٌ كرامُ المناقب
هي الوحدة الكبرى أباحت صراعهم ... وأوحت لأمريكا قباح المغارب

(٥٠) ديوان القاسمي، ص ٣٧٣.

فما بالها ترضى لها كل صالح ... وتأبى لنا إلا جسام المعاطب

. . . . . .

ووحدتنا الكبرى أثارت وساوسا ... لدى الغرب إن الغرب أظلم غالب

رمى المغرب الأقصى بهم مكيدة ... إذا ما رمى زهر النجوم الثواقب

. . . . . .

فما هي إلا وحدة عربية ... تجابهكم بالجد فوق الحواجب (٥١)

ويهز اعلان الوحدة بين مصر وسوريا شاعر الكويت ـ صقر الشبيب ـ فيعتبرها المنجى والمنقذ لهذه الأمة، وأنها الخطوة الصحيحة التي بدأت بها أمة العرب للحفاظ على وجودها، وتقرير مصيرها، وحماية حقوقها من الأطماع:

بين شكري وجمال العرب ... خير حلف موصل للأرب

أتبعاه باتحاد صارف ... ـ مثل ما نهوى ـ صروف النوب

اتحاد سر جدا كل من ... قد نماهم يعرب الحر أبى

اتحاد مجد أقوامي رأى ... لرحاه منه أزكى قصب

اتحاد حين بشرت به ... قلت للقلب الحزين الحرب

يا حزينا للتنائي بيننا ... قد تدانينا فصفق واطرب

. . . . . .

وحدة لا نتمنى فوقها ... غير أن تبقى بقاء الشهب

مشرقيُّ العُرب يلقى مُسهلا ... مثله فيها أخاه المغربي (٥٢)

---

(٥١) نداء الخليج، سالم بن علي العويس، حـ١، ص ٢٥.

(٥٢) ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٣.

ويستقبل الشاعر ـ عبدالرحمن المعاودة ـ اعلان الوحدة بين مصر وسوريا بالفرحة والبهجة فهي الحلم العظيم الذي تحقق. وها هو مجد الأمة يعود بوحدتها وتكاتفها، يقول المعاودة:

يوم أغر ووحدة تتأكد ... غنى الزمان لها وتاه الفرقد
علما العروبة أقسما وتعاهدا ... والله بالعهد المؤكد يشهد
ما الشام إلا مصر في تاريخها ... فيما به تشقى الشعوب وتسعد
. . . . . .
عد يا زمان السالفين وعهدهم ... فالعود يا زمن المفاخر أحمد
فلقد نفضنا الذل عن أوطاننا ... ولقد فضحنا الظالمين فهددوا
وإذا الشعوب وعت فليس لنارها ... يوم التفاخر والعلا من يخمدُ (٥٣)

وبقدر ما تركته الوحدة بين مصر وسوريا من بهجة وفرحة لدى الشعراء آنذاك ظهر أثره واضحاً في أشعارهم، نجد أيضا أن هؤلاء الشعراء من أبناء المنطقة، قد تجاوبوا وتفاعلوا مع أحداث وطنهم العربي في كل مناسبة قومية. فإنشاء الجامعة العربية عام ١٩٤٥م كان له أثره في نفوس الشعراء، وهم يرونها دعامة وأساسا لوحدة عربية منشودة، فها هو الشاعر ـ سالم بن علي العويس ـ يرى أن الجامعة بارقة أمل في زمان مظلم، ضاع فيه العالم العربي بين التمزق، ونزوات الحاكم الفرد، فتقاسمته الأهواء، والأنانية، وغزته المطامع الاستعمارية، وإن انشاء هذه الجامعة بارقة أمل:

حيوا «الجامعة العروبة» مجدها ... وبريقها بين الزمان المظلم
برق يسوق إلى «مراكش» غيثه ... ليشد من ذود الشقيق المرغم
فيلحيي ما طمس العفا آثاره ... من «طارق حتى خليج القلزم»
ذكر بنا «قبس العروبة» إننا ... شعب نساس بكل فرد ملجم (٥٤)

---

(٥٣) دوحة البلابل، عبدالرحمن قاسم المعاودة، ص ٤٣.
(٥٤) نداء الخليج، سالم العويس، حـ٢ ٥٤.

وفي موقف آخر يصور ـ العويس ـ دور الجامعة العربية، منطلقاً من الواقع العربي الرديء، وما يعانيه من تمزق، وتخلف. يمزج بين الخطاب المباشر لإيقاظ الهمم ووحدة الصف، وبين اتخاذ الماضي والتذكير به عبرة ودرساً للافادة منه في بناء الحاضر والمستقبل.

شعب عليه تحية وسلام ... إن لم ينـاد ببعثه عزام
لا الحاضر الجاري يروق ولا بذى ... الجيل العزيز تبشر الأيام
. . . . . .
لا مصر مصر ولا الرياض بروضة ... للمقتفين ولا بجلق شام
كلا ولا بلد الرشيد رشيدةٌ ... إن أهملوا اليمن السعيد ونامـوا
و أخلفوا من حضرموت ومسقط ... بلداً أو استثنى الخليج نظام (٥٥)

ويعود العويس ليذكر العرب أن قوتهم وتقدمهم مرتبط بوحدتهم وبالعودة إلى الاسلام والاقتداء بسيرة نبيهم محمد (ص) في توحيد هذه الأمة (٥٦).

ولكن رغم فرحة الشعراء والأدباء وسعادتهم بانشاء الجامعة العربية إلا أن البعض رأى أن هذه الجامعة لم تستطع تحقيق آمال وأحلام هذه الأمة، ولم تؤد الدور الذي كان يتوقعه هؤلاء الشعراء والمثقفون منها، لذا نجد أن هذا البعض قد اتخذ موقفاً فيه التهكم والعتاب على الجامعة التي وقفت عاجزة عن تأدية رسالتها.

فها هو الشاعر الكويتي ـ خالد الفرج ـ يوجه خطابه إلى الجامعة العربية في صورة تهكمية يصف فيها وضع الجامعة وما يدور فيها من اجتماعات وحفلات رسمية، وخطب، ولكنها لا تؤدي إلى نتيجة:

---

(٥٥) المصدر السابق، ص ٩٤.
(٥٦) المصدر السابق، ص ٩٥

عقـــدت اجتماعـك يـــا جـــامعـــة ... فهـــل أنـــت مبصرة ســـــامعـــــة
سئمنـــا الكـــلام فهـل مـن فعـــال ... فـإن الأعـــادي بنـــا طـــامعـــة
أسبعٌ عجـــائب هـــذا الـــزمـــان ... نـــزلنـــا إلى درك الســـابعـــة
كفـــانـــا ولائم فيهـــا الـــدســـوم ... تمص عـــن الأمـــة الجائعـــة
كفـــانـــا أحـــاديـث لا تنتهـي ... كفـــانـــا وعـــودكـم المائعـــة
كفـــانـــا خنـــوع وهـــا أنتـم ... مـــلايين في رقعـــة واسعـــة
كثيرون في قلـــة مـــن خـــلاف ... غنيـــون في أنفس قـــانعـــة (٥٧)

ويتخذ الموقف نفسه الشاعر ـ عبدالرحمن المعاودة ـ حيث يرى أن الجامعة العربية عجزت عن تأدية رسالتها، وأنها شغلت عن العمل الجاد بالخطب والمظاهر، وظل الوطن العربي يتخبط في خضم السياسة دون وعي أو إرادة يقرر فيها ساسته مصير هذه الأمة:

تمخضت عن فأر فـلا كنت يـا جبل ... ولا جـادك الغيث الهتـون إذا هطل
بني العرب مـا قـول لـديهم بنـافع ... اذا لم يـؤد منكم بعـد بـالعمل
وليس الأنـاني بـالـزعيم وان غـدا ... بألقـابـه يـزهـو ويختـال بـالحلل
وجـامعـة في مصر للعـرب أصبحت ... لها صـوتها الـداوي ولكن بـلا عمل
. . . . . .
وفي كـل يـوم خطبـة بعـد خطبـة ... لعـــزام في جمع بعـــزام يحتفـل
وفي كـل قطـر للعـروبـة مشكـل ... وجيش ولكـن دهـره يشتكى الشلل
ويفرض «برنـادوت» في الشرق حكمه ... ولا نـاقـة كـانـت لـه فيـه أو جمل
ومـا كـان (بـرنـادوت) إلا صنيعـة ... فكيف على أمثـالـه يعقـد الأمل
ويخلفـه الـزنجي مـن بعـد قتلـه ... وعمن تسود (الزنج) أنت فلا تسل (٥٨)

---

(٥٧) ديوان الشعر الكويتي، د. محمد حسن عبدالله، ص ١٤٣.
(٥٨) لسان الحال، عبدالرحمن المعاودة، ص ٧٤

والحقيقة أن المعاناة الوطنية، والوعي القومي لأبعاد الموقف بالنسبة للوضع العربي، قد خلق لدى الشعراء جواً من التوتر والحماسة والتطلع للوحدة، ولكن عدم تحقيق الجامعة العربية لأحلام وتطلعات المواطن العربي، قد خلق لدى الكثيرين ردة فعل بخيبة الأمل. إلى جانب بروز الخلافات السياسية التي ظهرت على السطح بصورة واضحة، وعدم قدرة الجامعة على الخروج بعمل جماعي ذي بعد قومي مستقبلي.

والذي أريد أن أشير إليه في هذا الصدد أن منظور الوحدة العربية عند هؤلاء الشعراء ينطلق من مفهوم اسلامي بالدرجة الأولى، وإن وحدة العرب هي عزة للاسلام والمسلمين. ولسنا بحاجة إلى التدليل على ذلك فكل النماذج الشعرية التي تتناول قضية الوحدة أو قضية التحرر، تتخذ من تاريخ الاسلام، ودور الرسول (ص) في توحيد الأمة منطلقاً لمعالجة الحاضر، واستثارة المشاعر، وبث الوعي بين أبناء الأمة لكي تسترد حقوقها، وتحافظ على شخصيتها الاسلامية العربية.

الفصل الثالث
قضية فلسطين

تعد قضية الاغتصاب الصهيوني لفلسطين من أهم وأعقد القضايا العربية في العصر الحديث. وتشكل لدى الانسان العربي محور الصراع القومي الحضاري الذي يرتبط به مصير الأمة، حيث تحول هذا الصراع من نطاق الإقليمية والعقائدية في بداية نشأته، إلى صراع دولي حيث تبنت قوى استعمارية الدولة الصهيونية وساندتها في مواقفها سياسياً وعسكرياً. ومن هنا تعقدت القضية، وخاضت الأمة العربية ثلاث معارك في أقل من نصف قرن مع العدو الاسرائيلي كانت الحرب سجالاً بينهما ففي عام ١٩٤٨م خرجت القوات البريطانية من فلسطين بعد أن مكنت اليهود من الوصول إليها وتوطينهم من خلال مجموعة من الاجراءات والمساعدات التي قدمتها دولة الانتداب بدءً بوعد بلفور عام ١٩١٧م، ثم تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، إلى قضية تزويد اليهود بالسلاح بطرقها المختلفة مما ممكن اليهود في أجزاء كبيرة من الأراضي الفلسطينية وعندما أحس العرب بالخطر بدأت الثورات الداخلية مثل: ثورة ١٩٣٦م وغيرها من الثورات الداخلية، وفي عام ١٩٤٨م تحركت الجيوش العربية ودخلت الأراضي الفلسطينية وحررت بعض المناطق ولكن بسبب الضغوط السياسية من قبل الدول الغربية عن طريق الأمم المتحدة عقدت الهدنة، ومفاوضات التقسيم، وظلت الدولة الصهيونية تبنى نفسها وتعد العدة، وشغل العرب بقضايا التحرر والخلافات الجانبية. وكانت حرب ١٩٦٧م، واستطاعت اسرائيل أن تحتل جميع الأراضي الفلسطينية بالاضافة إلى بعض الأراضي العربية الأخرى من مصر، وسوريا، ولبنان أخيراً، ثم كانت حرب ١٩٧٣م واستطاعت الجيوش العربية أن تحقق بعض الانتصارات على العدو الاسرائيلي، ولكن كان للدعم الغربي وخاصة أمريكا التي نزلت بكل ثقلها إلى جانب اسرائيل أثره في فرض وقف المعارك وفرض الأمر الواقع على الأمة العربية.

ولكن وعي المواطن العربي في الخليج كان مبكراً بالنسبة لأبعاد القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، ومن هنا نجد أن الشعراء العرب في الخليج قد شغلوا بهذه القضية

على الرغم من البعد المكاني، وضعف الاعلام العربي أنذاك، ولكن صدى هذه القضية وتفاعلهم معها كان بارزاً لدى الكثير منهم. فالشاعر الكويتي - صقر الشبيب - يخاطب أبناء وطنه وبنى قومه يحثهم على التبرع بالمال لمساعدة أخوتهم في فلسطين بعد أن فاتهم شرف المشاركة في النضال. وذلك بعد انهاء الاضراب العام الذي أعلنه الفلسطينيون عام ١٩٣٦م:

بنى يعُرب من فاته أمس سلّهُ ... حساماً به عن قومه يحسن الذّبا
فما فاته أن تمنح اليوم كفّهُ ... فلسطين ما يمحو به ذلك الذنبا
فجودوا بكثر المال والقل واذكروا ... هنالك أرحام العروبة والقربى

ويؤكد الشاعر على العرب ضرورة الوقوف إلى جانب اخوانهم في فلسطين وإن من لم يتبرع طوعاً فيجب أن يدفع دفعاً إلى التبرع بالمال لأن ذلك واجبٌ على كل العرب:

وشُنوا على المثرى البخيل مفاركم ... بكل مقال واملَؤوا قلبَهُ رُعبا
فمن لم يكن في فعله الخيرراغباً ... فلا بأس أن تلقاه يفعلُهُ رهبا
. . . . . .
فلسطين من لم يعترف طائعاً بها ... علينا لها من منة يعترف غصبا
فقد أثبتت أن العروبة لم تزل ... تطيق على الأعداء - مهما قووا - وثبا(٥٩)

وفي قصيدة مطولة تزيد على التسعين بيتا تحت عنوان «الأعمال لا الأقوال» يتناول الشاعر مأساة أبناء فلسطين وتضحياتهم، وما لاقوه من قتل وتعذيب وتشريد، ثم يصب جام غضبه على العرب، ويرى أن عرب اليوم ليسوا من أولئك العرب الذين عرفهم وسمع عنهم:

---

(٥٩) ديوان صقر الشبيب، ص ١٣٧

فلـــو كنـــا بنيـــه أبصرتنـــا فلسطين نـــــواسي أو نـــــذود
أيعـــرب مـن بنيـــه عُرْبُ يـــومي لعمـــــر أبيـــك ذا شيءٌ بعيـــــد

وترتفع عند الشاعر حدة الانفعال العاطفي والثورة والغضب وهو يشهد ما يحدث لأبناء فلسطين، والعرب في غفلة عنهم، كلا لستم بعرب:

فـإن نمـت القـــرود شكـــول نـــاسٍ فعـربُ اليـوم نـامـــوهـــا القـــرود
أقـــول مقـــالتـي هـــذي وإني لعُرب اليـوم في الـدعـوى نـديـد
فلـــو صـــدق ادعـــائي مـت ممـــا روى لي عـــن فلسطين البريـــــد
أحـــــاديـــث لها تنشـــق ممـــن لهم رويـت قلـــوب أو كبـــد (٦٠)

ومصر تمثل قلب العروبة النابض، ومركز الثقل في العالم العربي ولها دورها الريادي، ولذلك تتجه إليها أنظار العرب في كل موقف يتصل بقضاياهم. ولذلك يعاتب الشاعر ـ صقر السشبيب ـ مصر على موقفها الصامت من أحداث فلسطين عام ١٩٣٧م:

لـــومي فلسطينُ العـــزيـــزة أو ذرى مصراً على هـــذا السكـــوت المنكـــر
سكتت وصـوت الظلم يـدوى معلنـا تقسيمك المشجـى كـأن لم تشعـــر
. . . . . .
أتنـــام عينـــا مصر في الليـل الـــذي وافى محبيهـــا بـأنكـــد مسهـــر
ولقـــد ظننـــاهـــا تبـــادلنـــا الهوى فـإذا الظنـون كـواذبٌ في المخبر (٦١)

ثم ينتقل الشاعر إلى عتاب الأزهر الشريف على سكوته هو الآخر وعدم تصدى رجاله إلى مؤامرة التقسيم، وكيف أنهم لم يعلنوا الجهاد لنصرة اخوانهم المسلمين في

(٦٠) المصدر السابق، ص ١٩٠.
(٦١) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

فلسطين، والأزهر كما يرى الشاعر له دوره وزعامته الدينية، ولكن الشاعر يعاتب الأزهر، ويطلب منه أن يعطى الزعامة حقها أو يتركها:

وأحق من مصر بكل ملامة ... ذاك الذي يدعونه بالأزهر
كنا نؤملُ أن يقيم قيامة ... إن لم ترق مهج الأعادي تذعر
فإذا تثاقلُهُ يطول كأنما ... دهن العدى أعصابه بمخدر
. . . . . .
أزعيمنا الديني إن زعيمنا ... بالحق منْ لذما منا لم يخفر
أتظن أن يرضىَ زعامتك الألى ... مهما دعاهم واجب تتأخر (٦٢)

وينتهي الشاعر في مطولته إلى أن مصر لم تكن لتتقاعس لو أن سعداً كان على رأسها ويقصد به ـ سعد زغلول، ولكن نحاسها هو الذي ارتضى هذا الموقف لها ويقصد به ـ مصطفى النحاس ـ رئيس وزراء مصر آنذاك:

يا ليت غائب مصرعنا لم يغب ... أو ليت حاضرها لنا لم يحضر
لو لم يغب يا مصر (سعدك) ما أتى ... «نحاسك» الأمر الذي لم يشكر
أيرى فلسطين العزيزة تشتكي ... ظلم الطغاة ولم يعن أو ينَصر
هيهات ما سعد بتارك مثلها ... في كفّ وحشي السياسة بربري (٦٣)

وتتجسد القضية الفلسطينية عند الشاعر ـ سالم العويس ـ من دولة الامارات العربية في رسم صورة اليهودي الذي جبل على الغدر والخيانة منذ القدم، والشاعر يمزج موقفه السياسي في الطرح ببعض الحكم التي تثير الهمم وتحيي الآمال في استعادة الحق لأصحابه:

---

(٦٢) المصدر السابق، ص ٢٧٩.
(٦٣) المصدر السابق، ص ٢٨١.

خـذ بـالهوى والحق أخـذة مـؤمـن ... واتـرك هـدايـة من يقيس ويحسب
ظـل اليهـود عـن الصراط وأدبـروا ... إن اليهـود إلى الخيـانـة أقـرب
قـل لليهـود دخلتمـوا في مـأزق ... لن تـربحـوه ومـا تسـامح يعـرب
حلفـاؤكـم حلفـاؤهـم مـن قبلكـم ... ولهم إلى رد الصـداقـة منكـبُ (٦٤)

أما الشاعر ـ صقر بن سلطان القاسمي ـ فإن اغتصاب فلسطين وتشريد شعبها، واضطهاد أهلها، كان يمثل عنده قمة المأساة في تاريخ العرب، ولذلك حفل ديوان القاسمي بالعديد من القصائد التي تصور هذه المأساة وتستحث العرب على الثورة، واعلان الجهاد لتحرير فلسطين، وغالباً ما يربط القاسمي موقفه من الواقع بذكريات الماضي المجيد ودور البطولات العربية فها هو في احدى قصائده يتناول فيها مأساة فلسطين منطلقاً من معركة اليرموك الخالدة مخاطباً فيها خالد بن الوليد ومتمنياً لو يعود مرة أخرى ليقود جحافل المسلمين لإنقاذ فلسطين:

رهين البلى قُم وانفـض الترب إننـا ... بـأرواحنـا جـدنـا فهـل أنـت قـائدُ
فلو شاهدت عيناك في القدس خصمنا ... وفي «دير يـاسين» تـروع المشـاهـدُ
لعـز عليك العـربُ تسبى نسـاؤهـم ... ويـوأد مـولـود ويقتـل والـدُ
وتهتـك أحـرام ويـزهـق آمـن ... تقسـم أوطـانُ تهد مسـاجـدُ
فكم مـن شريـد ظـل مـن غير ملجأ ... يقضي الليالي وهو بالـذل سـاهـد (٦٥)

وفي قصيدته «عتاب» نجد الشاعر ـ القاسمي ـ يبكي واقع أمته، واضاعتها لقطعة غالية من أرضها، وبؤس أهلها. ويعاتب العرب على خنوعهم وسكوتهم. ويخاطب النبي محمد (ص) ويتمنى لو أنه يطل على واقع أمته فيرى ما هي عليه من ضياع وفرقة:

---

(٦٤) نداء الخليج، سالم العويس، جـ ٢، ٣٢.
(٦٥) ديوان صقر بن سلطان القاسمي، ص ١٥٦.

طـــه فـــداك أبي وأمـي كلهـم ... أو لا تطـل على ســـواد الحاضر
القـــدس أولى القبلتين سليبـــة ... وعمان بين مغـامـر ومهـاجـر
وعلى ربى القـدس الشريـف قـذائف ... تـردى الأبى بكلمـة من غـادر
ربـاه تضحيـة كثـورة (خـالـد) ... أو (طـارق) تحيى تـراث الغـابـر
إنـى لأغضى الطـرف من خجل إذا ... شاهـدت مـا بين الخيـام حـرائرى
يمشين في قـر الشتـاء عـواريـا ... ولكـم درجـن على الحريـر الفـاخـر
والعـرب في شرق البـلاد وغـربها ... لاهـون بين تنـاحـر وتـدابـر (٦٦)

أما الشاعر العُماني ـ السيد هلال بن بدر البوسعيدي ـ فإنه تهزه مأساة فلسطين وضياعها فيستصرخ بني قومه، ويدعوهم إلى انقاذها، ويعاتب العرب على قبولهم بالهدنة بعد أن شحذوا الهمم واستعدوا لاسترداد الحق. ولكنهم تراجعوا واختلفوا وقد نظم هذه القصيدة على ما يبدو أثناء حرب ١٩٤٨م لأن الشاعر يصف فيها التراجع العربي في الحرب، وقبول الهدنة. ثم مخاطبة الملك عبدالعزيز بن سعود، والملك فاروق، والملك فيصل في العراق ويستحثهم على تحرير فلسطين واستعادتها من المغتصب الصهيوني:

أكثرت في القـول بل أكثرت في الخطب ... اقلل ـ فديتك ـ واعمل يا أخا العرب
جـردت سيفـا ولكـن لا مضـاء لـه ... كـأنما السيف منسـوب إلى الخشب
بنى العـروبـة هل طـاب المقـام لكم ... وفي فلسطين أشـــلاء على لهب
. . . . . .
تهادنـــون ولم تفلـل مضـــاربكـم ... يـا للـرجـال لأمـر غير مـرتقب
شيخ الملـوك وعـود منك قـد سبقت ... تفـدى فلسطين بـالأرواح والنشب
فـأيـن ابطـــال نجـــد أيـن ذادتها ... وأيـن فـرسـانها من صفـوة العـرب
فـاروق حقق رجـاء العـرب فيك وقم ... وانشر كنـانـة مصر المجـد في الكتب (٦٧)

(٦٦) المصدر السابق، ص ١٨٢.
(٦٧) ديوان السيد هلال بن بدر البوسعيدي، ص ١٠٥.

ويسترسل الشاعر في وصف مصر ودورها، وقدرتها على مواجهة الخطر الذي يهدد كيان الأمة. ثم يستنهض الشاعر أبناء العراق، ويخاطب الملك فيصل في أن يؤدي دوره لنصرة فلسطين واستعادة حقوق أبنائها. . وما دام الشعر والشاعر في عمان فإننا نقف عند شاعر عماني آخر كان شعره صدى لمعاناة أمته، وصورة لواقعها المؤلم، إنه الشاعر ـ عبدالله الطائي ـ فله العديد من القصائد التي يتناول فيها القضية الفلسطينية ويصور فيها مأساة شعبها.

كما أنه يصور بأسلوب درامي. ثورة الانسان الفلسطيني وروح الفداء، ويمكننا القول أن ـ الطائي ـ في قصيدته هذه قد لجأ إلى الاسلوب الدرامي القصصي من خلال علاقة حب تنشأ بين المناضل الفلسطيني (وليد) وبين فتاة فلسطينية تدعى (فوز) يلتقيان على طريق النضال والمهر هو طريق التحرير والكفاح، وهنا نجد أن الشاعر بنموذجه الشعري هذا قد خرج عن النماذج التي عهدناها عند الشعراء الذين استشهدنا بأشعارهم بأسلوبها التقريري المباشر، ونبرتها الخطابية الوعظية التي تغلب على نماذجهم الشعرية:

وأرهفتْ فوزُ نحو الصوت مسمعها ... تقول هذا وليد بالندا حادي
لبيك يا دعوة ما زلت أرقبها ... الله يحفظها من صولة العادي
وفي الصباح أتته فوز شاكرة ... تقول مثلك من يدعى لانجاد
مال الجميع إلى الشكوى على ضعف ... وقد ركنت على شكوى واعداد
بعثت في النشىء حب الثأر فانتفضت ... فيه مآثر قُواد واجناد
عاهدتك اليوم أن أفنى الحياة على ... أن أدعو القوم نحو العود للدار

. . . . . .

وكان في قلبه من حبها قبسٌ ... أورى به نار آمال وأشواق
ريح الهوى ما عصا سلطانه أحدٌ ... كأنه سوط موسى في النسا باقي
هذا وليد يبيع العمر محتسباً ... لقدس مذحلها شذاذ آفاق
قد ناله السهم حتى كاد يأسره ... وما سوى فوز من آثاره راقي (٦٨)

(٦٨) الفجر الزاحف، عبدالله محمد الطائي، ص ٥١.

ونقف عند شاعر كان لقضية فلسطين صدى في شعره وأعنى به الشاعر ـ أحمد محمد الخليفة ـ فالشاعر أحمد الخليفة يخاطب أبناء الأمة العربية طالباً منهم أن يصدقوا الوعد، ويوفوا بالعهد ويسارعوا إلى حمل السلاح في سبيل تحرير فلسطين:

بشرونا هل ليوم الزحف نية ... يا دعاة الحق يا أهل الحمية
ومتى الميعاد حتى تلتقي ... في فلسطين الجيوش العربية
قد سئمنا الصبر حتى اننا ... لم تعد فينا من الصبر بقية
وكرهنا كل قول بعده ... لم تنفذ خطوات عملية
وإذا المغبون داسوا حقه ... ثار في وجه العوادي والرزية
يا دعاة الحق آن الملتقى ... بشرونا هل ليوم الزحف نية
جددوا الميثاق حتى نلتقي ... في روابيها صباحا أو عشية (٦٩)

وقصائد ـ أحمد خليفة ـ تتسم ببساطة، وعفوية وتلقائية تصل بها أحيانا إلى حد نظم الأفكار والمعاني القريبة وما يتداوله الانسان العادي في الحياة اليومية، وبلغة تقريرية مباشرة. وتفتقر إلى الصور الشعرية. وإن كانت بساطة اللغة وسلاسة الاسلوب تسمو ببعض قصائده إلى حد ما.

وقد يكون الشاعر الكويتي ـ خالد الفرج ـ من أكثر الشعراء في هذه المنطقة منذ الأربعينيات وعياً بالقضايا العربية، وتفاعلاً معها، وقضية فلسطين تأخذ حيزاً كبيراً في شعره، ويتدفق شعره السياسي والوطني بعاطفة متأججة وثورة على الواقع الذي تعيشه أمته، ويتميز اسلوب الشاعر خالد الفرج في معالجته لمثل هذه القضايا بالتهكم والسخرية، كما أشرنا إلى بعض نماذجه وموقفه من جامعة الدول العربية. ها هو يتناول «وعد بلفور» وزير خارجية بريطانيا آنذاك والذي أعطى بموجبه وطن قومي لليهود في فلسطين حيث كانت فلسطين تحت الانتداب البريطاني فيخاطب الشاعر بلفور بأسلوب ساخر:

(٦٩) العناقيد الاربعة (بقايا الغدران)، أحمد الخليفة، ص ١٩.

بلفـــــور إن اليـــــوم عيـــــدْ ... فـــالبس لـــه الثـــوب الجديـــدْ
وعليـــك أكليـــل السعـــــادة ... في أكـــــاليـــل الـــــورود

. . . . . .

هـــل كـــان وعـــدُك منـــزلاً ... بـــالـــوحـــي مـــن رب حميـــدْ
أم أنـــت تمثـــال الـــوفـــاء ... فـــــلا تحول ولا تحيـــــد
جـــازيـــت أخـــوانَ السمـــوأل ... في وفـــــائهـــم المجيـــــد
هـــم آزروك فجـــــازهـــمْ ... ممـــا لـــديـك بما تـــريـــد

ويصور موقف العرب من الهدنة بأسلوبه الساخر، وتهكمه المرير على حال أمته، وما آلت إليه من تخاذل، وتراجع، ونكوص عن العمل الجاد وانشغالها بالخطب الجوفاء الرنانة، فيقول من قصيدة تحت عنوان «الهدنة»:

بين اليهـود وبين قـومي هـدنـة ... قـد خُرّقْت حتى غـدت غـربـالا
فيـه النصـال على النصـال تكسرتْ ... وبـه نخلنـا للخطـوب رجـالا
لم يمسك الغـربـال منهم واحـدا ... حتـى ولا وعـداً ولا أقـوالا
صورٌ تـراءت فـوق شـاشـة مسرح ... ومتى لمست لمست ثـم خيـالا (٧٠)

. . . . . .

وإذا الموائد في الـولائم صففـت ... فـاسمع عـراضـا نُمّقتْ وطـوالا
هـي مـن كـلام الليـل لما أشرقـت ... شمس «الحقيقـة» ذوبتـه فسـالا
وإذا اليهـود بغـوا رأيت كفـاحهم ... بـالاحتجـاج صيـاحهم يتعـالى
الطبل يـدوي حين يقـرع بـالعصـا ... والقـوم ليسـوا منـه أحسن حـالا (٧١)

(٧٠) خالد الفرج، حياته وآثاره، خالد سعود الزيد، ص ٤٧.
(٧١) المصدر السابق، ص ٥٣.

وفي قطر نقف عند الشاعر ـ عبدالرحمن المعاودة ـ فقد تناول القضية الفلسطينية في شعره، وصور مأساة الشعب المشرد، وناشد العرب الوقوف في وجه الخطر الصهيوني، وقد تناول هذه القضية في أكثر من مناسبة ففي احدى قصائده التي نظمها بمناسبة جمع التبرعات لفلسطين يرثى فيها الشاعر حال الأمة وضياع أوطانها، ونهب العدو لخيراتها: (٧٢)

إلهي أذل الدين في عقر داره ... وهدم صرح للحنيفة قائم
وروع أول القبلتين وأهله ... ونال من الاسلام من هو ناقم

ثم يناجي الشاعر الماضي ويستعيد ذكرياته المجيدة، وكيف بنى أولئك الأبطال مجد هذه الأمة في عهد الراشدين وبني أمية، والعباسيين. وينتقل الشاعر إلى مناشدة العرب إلى الوقوف في وجه العدو، والمحافظة على أمجاد الأمة، وصيانة أوطانها:

بني الملة الفضلى ويا خير أمة ... إلى ساحها تعزى العلى والمكارم
أغيثوا فلسطين الشهيدة أنها ... مآسي تتارى كلها ومآتم
أغيثوا يتامى ما لها من يعيلها ... وأشتات قوم قد أهينوا فقاوموا (٧٣)

وعندما أعلنت هيئة الأمم قرار التقسيم عمت الإحتجاجات والمظاهرات أرجاء الوطن العربي معلنة رفضها لهذا القرار الجائر، وتعالت أصوات الشعراء في كل مكان تصور حجم المأساة وتحمس الجماهير العربية للثورة ومقاومة هذه المؤامرة.

ويرتفع صوت الشاعر ـ المعاودة ـ في قصيدة حماسية بهذه المناسبة داعياً الشباب العربي إلى الثورة وحمل السلاح للدفاع عن الوطن السليب فمن قصيدة تحت عنوان «يا لثارات قومنا» ألقاها في البحرين آنذاك أمام تظاهرة شعبية يقول فيها:

---

(٧٢) ديوان المعاودة، ص ٣٠.

(٧٣) المصدر السابق، ص ٣١.

حبـــذا الموت في ظـــلال البنـــود حبـــذا حـــامي الحي مـن شهيـــد
هـا هي العـرب قـد تنـادت إلى الموت تلبـــي نـــــداء رب حميـــــد
حكمـت هيئـــة اللصـــوص علينـــا حكـــم ابليـــس اللعين المريـــــد
لكـن الحق فـــوق حكمكـم اليـــوم بـــرغـم الـــوعيـــد والتهـــديـــد
يـــا لثـــارات قـــومنـــا في فلسطين فقـــــد دوهموا بشر اليهـــــود (٧٤)

ويستثمر الشاعـر ـ كعـادتـه ـ الماضي وأمجاده لإثـارة مشـاعـر أبنـاء الأمـة وايقـاظ ضمائرهم، وحثهم على العمل والجهـاد في سبيل مـواجهـة الأخطـار التي تحيق بهم، ويمتاز المعاودة باسلوبه الخطابي الحماسي، وقرب معانيه وان كان هذا له جانبـه السلبي من الناحية الفنية في مجال الشعر. حيث تطغى النبرة الخطابيـة والأسلـوب المبـاشر على الصور الفنية، والايحاء والظلال التي تسمو بفن الشعر.

والحقيقة أن النزعة الاصلاحية، والتوجه المباشر للجماهير ظاهرة واضحة عند معظم الشعراء الذين أطلقنا عليهم شعراء الإحياء. وذلك يرجع إلى تأثـرهم بـالشعـر العـربي التقليدي الذي بطبيعته يميل إلى الوضوح، ويخلـو من الخصـائص الـدرامية، وتغلب عليه النبرة الخطابية، وتتراجع فيـه الصـور والاخيلـة، ليحل محلهـا في الغـالب الصفـة التقريرية الواضحة. ويقترب من اسلوب الوعظ والإرشاد، ومعظم الشعر الاصـلاحي ينهج هذا النهج، ولذا نجد هذه الظاهرة في شعر العديد من الشعراء الـذين مثلـوا دور الإحياء والاصلاح في الأدب العربي الحديث من أمثال: شوقي(٧٥)، وحافظ إبـراهيم في مصر، ومحمـد مهـدي الجواهـري، والـزهـاوي في العـراق، وغيرهم من الشعـراء. فبالاضافة إلى ما ذكرناه من أن طبيعة الشعر العربي الكلاسيكي تميل إلى الوضـوح والنبرة الخطابية، فإن الواقع العربي وتصور هـؤلاء الشعـراء لـدورهم الاصـلاحي لاستنهـاض

---

(٧٤) لسان الحال، عبدالرحمن المعاودة، ص ٤٤.

(٧٥) الحقيقة أن شوقي يمزج بين التقرير والايحاء بمقدرة عجيبة ولذا فشعره أبقى وأدوم من شعـر المناسبـة ويكفي أن نثل لذلك هنا بقصيدته في ضرب الفرنسيين لدمشق:

ففي القتل لأجيـال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعتق
وللراية الحمـــراء باب بكـل يد مضـرجـة يـدق

الأمة، وحفز الهمم لدى الشعب العربي، قد جعل هؤلاء الشعراء يتجهون إلى الاسلوب المباشر، ولسنا بحاجة إلى تكرار ذكر النصوص التي تدعم رأينا، فمعظم النماذج التي أوردناها تسير في هذا الاتجاه، لأن الشعراء في المنطقة إلى جانب ثقافتهم التقليدية، ونهلهم من منابع الشعر العربي القديم، كانت رؤيتهم لوظيفة الشعر والشاعر قد جعلتهم يتجهون إلى الجماهير مباشرة، وبعفوية وتلقائية لأن الهدف الأساسي عندهم هو استثارة الجمهور وشحذ الهمم، ولأن الغاية عندهم هي التوجه للجمهور والتأثير عليه ومن هنا كانت التضحية بالجانب الفني. بالاضافة إلى ذلك فإن غياب النقد، وعدم تغلغل المفهوم الحديث للأدب في ثقافة هؤلاء الشعراء كلها أمور قد جعلت الشعراء في هذه المرحلة يتجهون إلى الاسلوب الخطابي المباشر، ويطغى اسلوب الأمر، والاستغاثة في شعرهم.

أما لغة الشعر فكانت في الغالب تميل إلى استخدام المفردات الشائعة القريبة من الجمهور ولكنها اللغة الفصيحة، فالمفردات عندهم مألوفة وعادية. وهذه الظاهرة نجدها في شعر عبدالرحمن المعاودة، وعبدالله الطائي، وسلطان بن صقر القاسمي، وأحمد محمد الخليفة، فهؤلاء الشعراء تتمثل في شعرهم تلك اللغة السهلة المألوفة، القريبة في معانيها كقول الشاعر ـ سلطان القاسمي:

رايــة الحق يــا شبــاب البــلاد مــزقتهــا بــالغــدر كـف الأعــادي
والفخــار العظيـم بكفيــه ذلاً أن تــوالـت على عــلاه الأيــادي

واللغة نفسها نجدها عند الشاعر ـ سالم العويس ـ الذي يخاطب الاستعمار مهدداً متوعداً بأسلوب تلقائي عفوي مباشر:

يــا من غــزانــا أتنجــو من أراضينــا فـإن نجــوت فما تــدري بماضينــا
قتـل النبيين لـن ينسـاه غــابــرنــا ومــا نسينــاه فــادروا كيـف تبنــونــا

فهذه النماذج الشعرية تفتقر إلى الصور الشعرية، والخيال المجنح، الذي يسمو بالاسلوب من التعبير المباشر إلى الاسلوب التصويري الايحائي. وإن كنا لا ننكر أن لغة هؤلاء الشعراء كانت مشحونة بثورة عاطفية صادقة في التعبير عن نفسها، ولكن الاسلوب لم يتجاوز في أحيان كثيرة اللغة النثرية المنظومة.

ولكن ليست كل النماذج الشعرية التي سقناها تسير في هـذا الاتجاه، أو تتسم بمثل تلك الخصائص، بل هنـاك بعض الشعـراء الـذين يتسم شعـرهم من حيث اللغـة أو المفردات بشيء من الجزالة، والعودة إلى اللغة القامـوسيـة في شعـرنـا العـربي القـديم، ويمكن أن نلحظ هذه النماذج في شعر ـ صقـر الشبيب، والشـاعـر ـ أحمد بن يـوسف الجابر، وعبدالله بن علي الخليلي، والسيد هلال بن بدر البوسعيـدي، فهـؤلاء الشعـراء تتمثل في شعرهم التراكيب والصور، والمفـردات التي تقترب من لغـة الشعـر القـديم، كقول الشاعر ـ هلال البوسعيدي:

تهادنـــون ولم تفلـل مضـــاربكـم ... يـا للـرجـال لأمـــر غير مـــرتقب

. . . . . .

جـردت سيفـا ولكـن لا مضـاء لـه ... كـأنما السيـف منســوب إلى الخشـب

ولا شك أن الصلة القريبة بين هـؤلاء الشعـراء، وبين التراث العـربي في الشعـر قـد جعلهـم يستعيـدون الكثير مـن التراكيـب والمفـردات، والصـور، كقـول صقـر الشبيب: (٧٦)

فإن تصـدمـوهم كفكـوا مـن شرورهـم ... وإلا أتوا منكم على الشخت والجأب(٧٧)

. . . . . .

تحسّوكُمُ حتـــى يـــــروا أنهم رووا ... ولا ريَّ ما شـامـوا الثمالـة في القعب(٧٨)

ولكن رغم ذلك نقول أن لغة الشعر عند هـذا الفـريق كـانت تمثل في الغـالب لغـة الوسط بين الصعوبة، والسهولة، ولكن الالفاظ المعجمية أكثر بـروزا عنـد هـؤلاء، من الفريق الأول حيث وجدنا أن اللغة السهلة المتداولة هي السمة البارزة في شعرهم.

---

(٧٦) ديوان صقر الشبيب، ص ١٠٧

(٧٧) الشخت: الدقيق

الجأب: الغليظ

(٧٨) شاموا: أبصروا

الثمالة: البقية من الطعام أو الشراب

والقعب: القدح الضخم.

القضايا العربية
لدى شعراء الاحياء

المصادر والمراجع

١ـ حركة البعث في الشعر العربي ـ د. ماهر حسن فهمي / مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢ـ الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ـ على المحافظة / الاهلية للنشر والتوزيع ـ ط (٣) بيروت، ١٩٨٠م.

٣ـ العرب ـ ادوارد عطية / الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م.

٤ـ الحركات القومية، حـ ١ ـ د. نور الدين حاطوم ـ ط (٢) دار الفكر.

٥ـ الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ـ د. محمد محمد حسين ط (٢) مكتبة الآداب بالجاميز، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

٦ـ دور الادب في الوعي القومي العربي (بحوث ـ ندوة) / مركز دراسات الوحدة العربية ـ ط (٣) بيروت، ١٩٨٤م.

٧ـ نداء الخليج، (ديوان) ـ سالم بن علي العويس (جزءان) / ط (١) مطابع دار الشعب، عمان ـ الاردن، ١٩٧٩م.

٨ـ نفحات الخليج ـ عبدالله سنان محمد ـ ط (١) الكويت، ١٩٦٤م.

٩ـ ديوان العريض ـ ابراهيم العريض ط (١) الكويت، ١٩٧٩م.

١٠ـ ديوان العناقيد الأربعة ـ أحمد محمد آل خليفة ـ حـ ١ البحرين بدون.

١١ـ ديوان السنالي ـ أبوبكر أحمد بن سعيد الخروصي، سلطنة عمان، ١٩٨٠م.

١٢ـ ديوان الشعر الكويتي ـ د. محمد حسن عبدالله / وكالة المطبوعات، الكويت.

١٣ـ ديوان صقر الشبيب ـ جمعه أحمد البشر الرومي/ / مكتبة الأمل، الكويت بدون.

١٤ـ ديوان الخليلي ـ عبدالله بن علي الخليلي ـ سلطنة عمان، ١٩٧٨م.

١٥ـ ديوان صقر القاسمي ـ صقر بن سلطان القاسمي / دار العودة ـ بيروت، ١٩٨٩م.

١٦ـ الفجر الزاحف ـ عبدالله محمد الطائي / مطبعة الضاد، حلب ـ سوريا، ١٩٦٦م.

١٧ـ وداعاً أيها الليل الطويل ـ عبدالله محمد الطائي، بيروت، ١٩٧٤م.

١٨ـ ديوان أحمد يوسف الجابر ـ جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ـ د. محمد كافود، الدوحة ـ قطر، ١٩٨٣م.
١٩ـ لسان الحال عبدالرحمن المعاودة، البحرين، ١٣٧٣هـ.
٢٠ـ ديوان المعاودة ـ عبدالرحمن قاسم المعاودة ـ ط ١ البحرين، ١٩٤٢م.
٢١ـ القطريات ـ ظ عبدالرحمن قاسم المعاودة، قطر، ١٣٧٧هـ.
٢٢ـ دوحة البلابل ـ عبدالرحمن قاسم المعاودة، قطر، ١٩٦٠م.
٢٣ـ القومية العربية في الأدب الحديث ـ د. محمد زغلول سلام / دار المعارف، القاهر، ١٩٥٩م.
٢٤ـ أدباء الكويت في قرنين، خالد سعود الزيد ـ حـ ١ ط ٢ المطبعة العربية، الكويت، ١٩٦٧م.
٢٥ـ ديوان هلال بدر البوسعيدي ـ تحقيق محمد علي الصليبي، عمان، ١٩٨٥م.
٢٦ـ الشعر المعاصر في البحرين ـ علوي الهاشمي ـ بغداد، ١٩٨١م.
٢٧ـ خالد الفرج حياته وآثاره ـ خالد سعود الزيد ـ ط ٢ الكويت، ١٩٨٠م.